قبسات من الهَدْي النبوي

في طرق تنمية العمل التطوعي وأثرها في النهوض بالمجتمع

إعداد

د. شهاب الدين محمد علي أبو زهو

الأستاذ المساعد بقسم الحديث وعلومه

كلية أصول الدين والدعوة الإسلامية بطنطا – جامعة الأزهر

قبسات من الهَدْي النبوي في طرق تنمية العمل التطوعي وأثرها في النهوض بالمجتمع

شهاب الدين محمد علي أبو زهو
قسم الحديث وعلومه، كلية أصول الدين والدعوة الإسلامية بطنطا، جامعة الأزهر، جمهورية مصر العربية.
البريد الإلكتروني: ShehabElDinAbouZahw.27@azhar.edu.eg

الملخص :

يهدف هذا البحث إلى تحقيق عدة أهداف، كان من أبرزها: الوقوفُ على ما ورد في السُّنة المطهرة حول طُرُقِ تنمية العمل التطوعي، وتوظيفِ الطاقاتِ المناسبةِ وتوجيهِها في تطويره، وقد بينت أن السُّنةَ النبوية سَلَّطَتِ الأضواءَ الكاشفة على العمل التطوعي، وأوضحتْ بجلاء طُرق تطويرِه وتنميتِه وتوظيفِه في خدمة المجتمع، وقد اشتمل هذا البحث – مع الربط كلما أمكن بالتطبيقات المعاصرة – على التعريف بالعمل التطوعي، والأحاديث الواردة في الترغيب فيه، وطرق تنمية العمل التطوعي في السُّنة النبوية، وطرق تنمية العاملين في العمل التطوعي في السُّنة النبوية، وتحليل عام لما سبق ذِكْرُه من النماذج الواردة في السُّنة المطهرة لبيان طرق تنمية العمل التطوعي وأثرها في المجتمع، وقام البحث على اتباع المنهج التأصيلي الاستقرائي التحليلي، وكان من أبرز وأهم النتائج التي حققها البحث: الكشفُ عن مدى اهتمام السُّنة النبوية وعنايتِها الواسعة بالعمل التطوعي والتَّفَنُّنِ في الدعوة إليه والترغيب فيه، وسبْقُ السُّنةِ النبوية إلى تكثير وتشعيب دروبِ ومظاهرِ العمل التطوعي وشمولِ أنواعه المختلفة، وفَتْحُها الآفاقَ المتنوعة والمتكاملة لرعاية المجتمع، كما أن البحث قد أبرز بجلاءٍ عنايةَ السُّنةِ النبوية البالغةَ بالطرق التي تُسْهِم في تنمية العمل التطوعي سواء أَتَعَلَّقَتْ بالقائمين عليه، أم بالعمل ذاتِه، أم بالبيئة التي يُصنع فيها العمل التطوعي؟ وأهم توصيات البحث: قراءة الأحاديث النبوية المتعلقة بالعمل التطوعي قراءة معاصرة منضبطة، تواكب ظروف ومتطلبات عصرنا الحديث، والحرص على توَظيف وسائل العمل التطوعي الواردة في السُّنة النبوية بصفةٍ متكاملة، تُسْهِم في تطوير المناشط الاقتصادية والاجتماعية والثقافية، بل والمعنوية أيضاً.

الكلمات المفتاحية : الهدي النبوي– التطوع– التنمية– المجتمع–، النهوض– التطوير– السنة النبوية.

Quotes from the guidance of the Prophet in the methods of developing voluntary work and Its impact on the advancement of society.

Shehab Al-Din Muhammad Ali Abu Zahw.
Department of Hadith and its Sciences, Faculty of Religion Fundamentals And Islamic Dawa ,Al Azhar university, Tanta.
Email: ShehabElDinAbouZahw.27@azhar.edu.eg

Abstract:

This research aims to achieve several goals, was the most prominent of which: Standing on what is mentioned in the Sunnah about methods of developing volunteer work, and employ the appropriate energies and direct them in its development, it showed that the Sunnah of the Prophet spotlight shone on the volunteer work, And made it clear methods for its development, and employment in community service.

This research has included:

(With linking whenever possible to contemporary applications) On Definition of volunteer work and the hadiths contained in the encouragement to it, and ways to develop volunteer work in the Sunnah, methods of developing workers in voluntary work in the Sunnah, and a general analysis of what has been previously mentioned of the models contained in the Sunnah to demonstrate the methods of developing volunteer work and their impact on society.

The research was based on following the method of inductive analytical method.

The most prominent and important results achieved by the research were: Revealing the extent of the Sunnah's interest and broad concern with volunteer work and artfulness in calling for him and enticing him, and preceded the Sunnah to a great deal and the bifurcation of the paths and aspects of volunteer work and the inclusion of its various types, and it opens up diverse and integrated horizons for community care, and the research has clearly shown the attention paid by the advanced Sunnah of the Prophet in the ways that contribute to the development of volunteer work, whether it relates to those in charge of it or by work itself, or in the environment in which volunteer work is made.

The most important research recommendations:

Reading the hadiths related to volunteer work is a contemporary disciplined reading, it keeps pace with the conditions and requirements of our modern age, and is keen to employ the means of volunteer work mentioned in the Sunnah in an integrated manner that contribute to the development of economic, social and cultural activities and the moral too.

Keywords: Prophetic guidance- volunteering- development- society, Advancement- development- Sunnah.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين، وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وبعد.

فإن السُّنة النبوية الغراء قد عُنيت بالتطوُّع عناية فائقة، فَشرعتْ لنا الأصول والقواعد التي ينطلق على أساسها كل عملٍ تطوعيٍّ، فتقوم أركانُه، ويَعْظُم بنيانُه، وتتنوع شُعَبُه، وتزكو ثماره، وتمتد آثاره، وفي هذا للمجتمع ضمانٌ، أيُّ ضمانٍ للاستقرار. وكما أَظْهَرَ القرآن الكريم عناية فائقة في الدعوة إلى العمل التطوعيِّ، فإن السُّنة المطهَّرَة كذلك قد حفلت بأحاديث لا تُحصى كثرةً في الحث على العمل التطوعيِّ والعناية به، كما أن السُّنة المشرَّفة قد سلطت الأضواء الكاشفة على العمل التطوعيِّ، وأوضحتْ بجلاء سبل تطويره واستثماره وتوظيفه في خدمة المجتمع، كل ذلك بوسائل غاية في الكمال والدقة، تشمل الجوانب الإيمانية والوجدانية والاجتماعية والدعوية والفكرية والإعلامية. وفي هذا العصر الذي نعيشه نرى ونسمع عن تسابق الدول والهيئات والمؤسسات وتنافسهم في الجوانب التطوعية التي تخدم المجتمع كل حسب نشاطه وتخصصه، وشعار الأكثرين منهم في ذلك: مواكبة ركب التحضر، ومسايرة الآخرين في مناشطهم، أو الدعاية لأعمالهم وترويج منتجاتهم... الخ، فأحببت أن أبين أن الإسلام يتخذ في العمل التطوعيِّ شعارًا أنبل مقصدًا وأسمى هدفًا وهو: طلب مرضاة الله تعالى، وما عنده من الأجر العظيم، ثم تحقيق مقتضيات الأخوة الإسلامية خاصة، والإنسانية عامة، ونفع المجتمعات والإسهام في خدمتها ورُقِيِّها.

ومن هنا جاء هذا البحث – بتوفيق الله تعالى وفضله – ليسهم في إبراز دور السُّنة النبوية في الاهتمام بالعمل التطوعي دعوةً، وتنميةً واستثمارًا، وسميت هذا البحث: "قبسات من الْهَدْي النبوي في طرق تنمية العمل التطوعي وأثرها في النهوض بالمجتمع"،

رأيت أن ألقي في هذا البحث الضوء على مفهوم العمل التطوعي والترغيب فيه، وإبراز طرق تنميته وتطويره واستثماره من خلال المنهج النبوي الكريم، مع ربط ذلك –ما أمكن– بالتطبيقات المعاصرة.

وجاءت خطة هذا البحث –الذي أرجو الله تعالى له البركة والتوفيق– مشتملة على ما يلي :

المقدمة : وتشتمل على بيان الغرض من هذا البحث وخطته، وبيان أهمية البحث، ومشكلته، وأهدافه، ومنهجيته والدراسات السابقة .

المبحث الأول: التعريف بالعمل التطوعي، والأحاديث الواردة في الترغيب فيه، وفيه مطلبان :

المطلب الأول: التعريف بالعمل التطوعي .

المطلب الثاني: نماذج من الأحاديث الواردة في الترغيب في العمل التطوعي .

المبحث الثاني : طرق تنمية العمل التطوعي في السُّنة النبوية، وذلك من خلال المطالب الآتية :

المطلب الأول : إدراج العمل التطوعي ضمن مفهوم العبادة والإيمان .

المطلب الثاني: تجويد العمل التطوعي وإتقانه وإحسانه وأداؤه على الوجه الأمثل.

المطلب الثالث: الاهتمام بالأنواع الجارية والمستمرة من العمل التطوعي.

المطلب الرابع: تكثير وتفريع شُعَب العمل التطوعي.

المطلب الخامس: تنويع مصادر التمويل للأعمال التطوعية.

المطلب السادس: الدلالة على العمل التطوعي عبر المنافذ الإعلامية المتاحة.

المبحث الثالث: طرق تنمية العاملين في العمل التطوعي في السُّنة النبوية.

المطلب الأول: توظيف الطاقات والكفاءات فيما يناسبها من العمل التطوعي.

المطلب الثاني: التعاون والجماعية في العمل التطوعي.

المطلب الثالث: الدعوة إلى توريث الخبرات في العمل التطوعي.

المطلب الرابع: التدريب المستمر.

المطلب الخامس: المراقبة والمتابعة الدقيقة.

المطلب السادس: التحفيز والتشجيع.

المطلب السابع: اكتشاف الخبرات ودعمُها بالتوجيه.

المطلب الثامن: التحذير من التخذيل عن الأعمال التطوعية.

المبحث الرابع: تحليل عام لما سبق ذكره من النماذج الواردة في السُّنة المطهرة لبيان طرق تنمية العمل التطوعي وأثرها في المجتمع، وذلك من خلال المطالب الآتية:

المطلب الأول: الأهمية الكبرى لطرق تنمية العمل التطوعي وأثرها في قضايا المجتمع وتطوير قدراته.

المطلب الثاني: أهمية التنوع في طرق العمل التطوعي، وأثرها في تنمية موارده البشرية والمادية.

المطلب الثالث: تحقيق الأهداف العامة والخاصة للأوطان والإسهام بقوة في الإصلاح المجتمعي.

المطلب الرابع: تعميم الأعمال التطوعية في كل الجوانب المجتمعية وأثره في تنمية المناشط المادية والمعنوية.

المطلب الخامس: الاعتناء بقاعدة فقه الأولويات فهمًا وتطبيقًا وأثره في المناشط التطوعية.

الخاتمة: وفيها أهم ما تضمنه البحث من نتائج وتوصيات.

أهمية البحث:

هذا البحث له أهمية كبرى في عصرنا الراهن يمكننا إيجازها فيما يأتي:

١ – أنه بحث حديثيٌّ لموضوع متعلق بإحدى القضايا المهمة في المجتمع المسلم خاصة والإنساني عامة.

٢ – أنه يستقرئ الأحاديث المتعلقة بالموضوع ويسلط الضوء على المراد منها، مع ربطها بالواقع وتوظيفها في تقديم الرؤية الراشدة للمجتمع.

٣ – إبراز ما تضمنته وتميزت به السُّنة النبوية في مجال العمل التطوعي دعوةً ورعاية واستثمارًا.

٤ – الإسهام في صد الهجمة الشرسة الموجهة ضد الإسلام ووصفه بأوصاف هو بريء منها بل حقيقته على النقيض منها، مثل وصفه بأنه: "دين ليست له رسالة تخدم المجتمعات وتسهم في تطورها ورُقِيِّها".

مشكلة البحث:

لا يخفى على الباحثين في مجال العمل التطوعي والعاملين فيه أنه يحتاج بصفة مستمرة إلى التطوير الذي يواكب حاجة المجتمع ويلبي مطالبه، وهذا التطوير يستلزم البحث عن طرق استثمار الأعمال التطوعية، وتنميتها، حتى تتسع دائرة عطاءاتها، وتغطي أوسع مساحة كيفًا وكمًّا، بل وتمتد عبر الأزمنة والأجيال اللاحقة، ومن هنا فقد تفرعت عن هذه المشكلة عدة أسئلة جاء هذا البحث ليحاول الإجابة عنها، وهي:

١ – ما مدى اهتمام السُّنة النبوية بالعمل التطوعي في المجتمعات المسلمة خاصة والبشرية عامة؟

٢ – ما طرق تنمية العمل التطوعي في السُّنة النبوية؟

٣ – كيف كان النبي ﷺ يتعامل مع مشاريع العمل التطوعي؟

أسباب اختيار البحث:

تتمثل أسباب اختيار البحث في النقاط الآتية:

١ – انتشار الدعوة إلى العمل التطوعي في العصر الحديث وحاجة المجتمعات إليه.

٢ – براعة المنهج النبوي في الدعوة إلى العمل التطوعي.

٣ – عناية السُّنة النبوية بالعمل التطوعي المجتمعي وفتحها الآفاق المتنوعة والمتكاملة لرعاية المجتمع.

٤ – سَبْقُ السُّنة النبوية إلى تكثير وتشعيب دروب ومظاهر العمل التطوعي وشمولية أنواعه المختلفة.

٥ – الإسهام في الكشف عن طرق استثمار العمل التطوعي كما بينتها السُّنة المطهرة.

أهداف البحث:

يسعى الباحث من خلال هذه الدراسة للوصول إلى تحقيق الأهداف الآتية:

١ – التعريف بالعمل التطوعي واهتمام السُّنة النبوية بالترغيب فيه والحث عليه.

٢ – الوقوف على ما ورد في السُّنة المطهرة حول طرق تنمية العمل التطوعي، وتوظيف الطاقات المناسبة وتوجيهها في تطويره.

٣ – الإسهام في إبراز الدور العظيم للسُّنة النبوية في رُقِيِّ المجتمع وتنميته ونهضته، وإقامته على أسس من التكافل الذي يشمل المسلمين وغيرهم ممن يعيشون في الدولة المسلمة.

منهج البحث:

قام البحث على اتباع المنهج الاستقرائي التحليلي التأصيلي في دراسة هذا الموضوع.

فأما المنهج التأصيلي : فكان عند تعريف المصطلحات الخاصة بالبحث.

وأما المنهج الاستقرائي : فيتمثل في اختيار ما صح من الأحاديث النبوية المتعلقة بالموضوع.

وأما المنهج التحليلي : فيتمثل في تدبر الأحاديث النبوية وبيان هداياتها، إلى جانب المنهجية المتبعة في البحوث، مع مراعاة أن مساحة البحث محدودة حسب طبيعة النشر المعهودة في المجلات العلمية، وبالتالي سوف يختار البحث فقط نماذج من الأحاديث النبوية دون استقصاء الوارد منها في موضوعه .

الدراسات السابقة :

هناك دراسات عديدة تناولت العمل التطوعي من نواحٍ متعددة، ولا شك أن تلك الدراسات لها أهميتها، وتلتقي مع هذا البحث في أصل فكْرَتِه، وإن كان قد وقع بينها اختلافٌ في طريقة العرض والتناول والتفصيل والإيجاز، وذلك نظرًا لطبيعة كلِّ دراسةٍ منها إذْ إنَّ بعضها عبارة عن رسالة علمية –ماجستير أو دكتوراه–، وبعضها كتابٌ علميٌّ كبير، وبعضها أبحاثٌ موجَزة للترقية العلمية أو النشاط العلمي المجرد، ومع ذلك فقد استفاد الباحث بتلك الدراسات وكان لها فضل الريادة والتوجيه في هذا المجال، ولعل من أهم تلك الدراسات :

رسالة ماجستير بعنوان: العمل التطوعي في السنة النبوية، إعداد الطالبة رندة محمد زينو، ويقع في (٢٢٥) صفحة، الجامعة الإسلامية بغزة، كلية أصول الدين – قسم الحديث الشريف، (١٤٢٨/٢٠٠٧م)، وقد جعلته الباحثة دائرًا على أربعة فصول بدأتها ببيان أهمية العمل التطوعي في السنة النبوية، ثم الحديث عن مجالاته عامة، والاجتماعية والخدمية خاصة.

وبحث بعنوان: مجالات العمل التطوعي في السنة النبوية، ويقع في (١٤٠) صفحة، للدكتور محمد عبد الرازق أسود، منشور في حولية مركز البحوث والدراسات الإسلامية (كلية دار العلوم – جامعة القاهرة – مصر، ٢٠١١م)، وقد جعله في عشرة مباحث

تدور كلها حول ذكر مجالات العمل التطوعي الخدمي والتعليمي والاجتماعي والتثقيفي والصحي والعسكري... إلخ.

وقد أقامت جامعة أم القرى بمكة "المؤتمر العلمي الأول للخدمات التطوعية" في الفترة من (٢٧ –٢٩) جمادى الآخرة ١٤١٨ ه، وأبرز البحوث التي لها صلة بموضوع بحثي: الخدمات التطوعية في الكتاب والسنة (مفهومها وأهميتها ومجالاتها). وبحث: مشروعية الخدمات التطوعية في الكتاب والسنة ومُثلها من سيرة السلف الصالح. وكلاهما من إعداد الدكتور: محمد سعيد بخاري. والعنوان الثاني نفسه بحث آخر لكل من الأستاذ: يوسف الحوطي، والأستاذ: خالد عسيري.

وقد أقامت جمعية البر بالمنطقة الشرقية، اللقاء السنوي الرابع للجهات الخيرية بالمنطقة الشرقية ، بعنوان : "استقطاب المتطوعين للعمل في الجهات الخيرية" في الفترة من ٢٩ شوال إلى ٢ ذي القعدة ١٤٢٤ه، وأبرز البحوث التي لها صلة بموضوع بحثي: بحث: الأعمال التطوعية في الإسلام. من إعداد الدكتور: محمد القاضي. وبحث آخر بالعنوان نفسه. من إعداد الدكتور: إبراهيم البريكان.

وأما علاقة الدراسات السابقة بموضوع البحث: فإنه مما ينبغي التأكيد عليه أن الدراسات السابقة حتى وإن كانت عن الأعمال التطوعية، إلا أنها لم تستوف الموضوع من جميع جوانبه، خصوصًا صُلب بحْثِنَا هذا، وهو "قبسات من الْهَدْي النبوي في طرق تنمية العمل التطوعي وأثرها في النهوض بالمجتمع"، وجاءت تلك الدراسات مقتصرةً على بعض الجوانب فقط؛ إما مفصلة أو موجزة؛ حسب طبيعة الأهداف التي كُتبتْ لأجلها، وهذا البحث يلتقي مع البحوث السابقة في بعض مسائلها إلا أنه تميز عنها بإفراد الحديث عن طرق تنمية العمل التطوعي وأثرها في النهوض بالمجتمع، وهو ما لم تتعرض له البحوث المشار إليها، اللهم إلا رسالة الماجستير المذكورة فقد تكلمت عن طريقتين اثنتين من طرق تنمية العمل التطوعي وهما: العمل المؤسَّسي، والوقف الإسلامي. مع كل التقدير لمن أسهم في هذا المجال، والله لا يضيع أجر المحسنين.

المبحث الأول

التعريف بالعمل التطوعيّ ، والأحاديث الواردة في الترغيب فيه

المطلب الأول : التعريف بالعمل التطوعيِّ

عَرَّفَ الباحثون العمل التطوعي بتعريفاتٍ متنوعة[١]، وبعيدًا عن الإغراق في التعريفات بما لا يتناسب مع طبيعة مثل هذا البحث الذي بين أيدينا، فإننا نقتصر على التعريف الآتي الذي استقيناه من تعاريف متعددة مع الإضافات اللازمة:

العمل التطوعيُّ : هو بذلُ الجهدِ الإنساني، بصورةٍ فردية أو جماعيَّةٍ لتحقيق مصلحة عامة أو خاصة، وأغراض إنسانية أو دينية أو علمية أو صناعية أو اقتصادية، من خلال عدة موارد، وصرفها في أوجه الأعمال التطوعية بقصد نشاطٍ اجتماعي أو ثقافي، بطُرُق الرعاية أو المعاونة ماديًّا أو معنويًّا داخل الدولة وخارجها، من غير قصْدِ الربح لفاعِلِيهِ، سواء سُمِّيَ إغاثة، أو جمعية، أو مؤسسة، أو هيئة، أو منظمة، خاصة أو عامة.

أو باختصار : هو جهد مبذول، يعتمد على الخبرة، عبر وسائل متنوعة، بقصدٍ جلب المنفعة للمجتمع، دون مقابل.

وتتجلى أمامنا معالم العمل التطوعيّ من خلال تعريفه، حيث إنه : عمَلٌ اختياريٌّ

---

[١] للاستزادة ومطالعة بعض التعريفات، انظر: أسود، محمد عبد الرازق، مجالات العمل التطوعي في السنة النبوية، حولية مركز البحوث والدراسات الإسلامية، كلية دار العلوم، جامعة القاهرة، مصر، (٢٠١١م)، ص:٢٦٩ – ٢٧٤. زينو، رندة محمد، العمل التطوعي في السنة النبوية، رسالة ماجستير، كلية أصول الدين، الجامعة الإسلامية، غزة، فلسطين، (٢٠٠٧م)، ص:١٤. مشالي، صابر السيد، التطوع للمصلحة العامة: دراسة أصولية فقهية، موقع الألوكة، على الرابط: http://www.alukah.net/sharia/٠٤٠٦٨ftn/# ٧/ بتاريخ: ٢٠٠٨/١١/١٦م. جواد، محمد صالح مهدي، العمل الخيري دراسة تفصيلية تاريخية، مجلة "سر من رأى"، المجلد ٨، العدد ٣٠، السنة ٨، كلية التربية، جامعة سر من رأى، العراق، (٢٠١٢م)، صفحه ٢١٢. ومن خلال المقارنة بين تعريفنا والتعريفات المذكورة في هذه المصادر تتبين الفروق والإضافات.

يقوم به صاحِبُه من تلقاءِ نفْسه، من غير إلزامٍ ولا إيجاب، بل هو زيادةٌ على الواجبات والفروض اللازمة، والعاملُ في هذا المجال التطوعيّ لديه من الخبرات والإمكانات والكفاءة ما يؤهله لإتمام العمل التطوعي المنوط به في جانبٍ معيَّن على الوجه الأمثل، من خلال وسائل متنوعة تشمل كافة مجالات الحياة المادية والمعنوية، العامة والخاصة، فرديًّا أو مؤسسيًّا، يَقْصِد مِن وراء ذلك توصيلَ المنفعة لمجتمعِهِ والناسِ مِن حولِه بل البشريةِ كلِّها، لا يريد مِن أحد جزاءً ولا شكورًا، سوى ابتغاء مرضاة ربِّه الأعلى، وشعارُه في ذلك ما يقوله الأبرار حين يتطوعون بالعمل الصالح كما جاء في قوله تعالى: ﴿ وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا * إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا ﴾ [الإنسان: ٨، ٩].

المطلب الثاني: نماذج من الآيات والأحاديث الواردة في الترغيب في العمل التطوعي

حَرِيٌّ بنا –في هذا الموضع– أن نشير إلى أن الإسلام منذ ظهوره وفي مرحلة نشأته الأولى التي كان بناء العقيدة فيها هو المهمة الكبرى والأساسية قد اهتم بالعمل التطوعي، وحث عليه ورغب فيه جنبًا إلى جنْبٍ مع البناء العَقَدِيِّ للفرد المسلم والأُمَّة المسلمة، وقد وردت الآيات القرآنية الكريمة والأحاديث النبوية –مجملة ومفصلة– تأمر بالعمل التطوعيّ وتحث عليه، وتَنهى عن ضده وتُحَذِّر منه، وتارة تمدح العمل التطوعي ذاته، وتدعو إلى المسارعة فيه والتعاون عليه، وأخرى تشكر لفاعِلِيهِ صنيعَهم وتُزكيهم، وتذم تارِكِيهِ وتُبين شنيعَ فِعْلِهم، ونسوق هنا طرَفًا من الآيات القرآنية على النحو الآتي: بَيَّنَ الله تعالى فضل التطوع بالعمل التطوعي وجزاء فاعله فقال : ﴿ فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ ﴾ [سورة البقرة:١٥٨]. وقال سبحانه : ﴿ فَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ ﴾ [سورة البقرة:١٨٤]، والتطوع في هاتين الآيتين عام يشمل جميع الخيرات وأنواع البِرِّ والطاعات.

ومما يدل على عُلُو شأن العاملين في العمل التطوعي أن الله تعالى قد جعل أئمتهم في فعل الخير الأنبياء ﭽ فقال تعالى في معرض حديثه عن الأنبياء: ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ ﴾ [سورة الأنبياء:٧٣].

وقد فَصَّل القرآن الكريم في ذكر بعض المجالات التطوعية وأنَّ القائم بها من أصحاب الميمنة الفائزين بالجنة الناجين من النار، فقال تعالى: ﴿ فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ * فَكُّ رَقَبَةٍ * أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ * يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ * أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ * ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ * أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ﴾ [سورة البلد : ١١ – ١٨] .

ويتبين لنا بجلاء أن الإسلام قد سبق في الدعوة إلى العمل التطوعي سبقًا بعيدًا، وبالَغ في ذلك حتى أنه قرن التخلِّي عن رعايةِ المسكين وإهمالِ الدعوة إليه، بأخطرِ ذَنبَيْن متعلقَيْن بالعقيدة والعبادة، وهما تَرْكُ الصلاة والتكذيبُ بيوم الدين، كما في قوله تعالى: ﴿ قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ (٤٣) وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ ﴾ [سورة المدثر:٤٣–٤٤]، وقوله سبحانه : ﴿ أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ * فَذَلِكَ الَّذِي يَدُعُّ الْيَتِيمَ * وَلَا يَحُضُّ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ﴾ [سورة الماعون : ١ – ٣]) .

وأما الأحاديث النبوية التي تحث على العمل التطوعي، وتبين فضله وثوابه، فإنها كثيرة نسوق هنا طرَفًا منها على النحو الآتي :

١ – عن أبي هريرة ﷺ أنَّ النبي ﷺ قال: «مَن نفَّسَ عن مؤمنٍ كربةً من كُرَبِ الدُّنيا نفَّسَ اللهُ عنه كربةً من كُرَبِ يوم القيامةِ، ومَن يسَّرَ على مُعسرٍ يسَّرَ اللهُ عليه في الدنيا والآخرة، ومَن ستر مسلمًا ستَره اللهُ في الدنيا والآخرة، واللهُ في عونِ العبدِ ما كان العبدُ في عونِ أخيه »، وفي رواية: « ومن كان في حاجةِ أخيه كان اللهُ في

حاجتِه» [١] ، هذا الحديث فيه مسائل متعددة؛ تتعلق بطائفة مهمة من أنواع العمل التطوعي، مِن أبرزها: (تَفْرِيجُ الْكُرَبِ وَهُوَ بَابٌ وَاسِعٌ؛ فَإِنَّهُ يَشْمَلُ إِزَالَةَ كُلِّ مَا يَنْزِلُ بِالْعَبْدِ أَوْ تَخْفِيفَهُ) [٢] .

٢- وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «السَّاعِي عَلَى الْأَرْمَلَةِ وَالْمِسْكِينِ، كَالْمُجَاهِدِ فِي سَبِيلِ اللهِ، وَكَالْقَائِمِ لَا يَفْتُرُ ، وَكَالصَّائِمِ لَا يُفْطِرُ » [٣] ، (المراد بالساعي : الكاسبُ لهما، العاملُ لمؤونتهما) [٤] .

٣- وعَنْ رَافِعِ بْنِ خَدِيجٍ ﷺ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «الْعَامِلُ فِي الصَّدَقَةِ بِالْحَقِّ لِوَجْهِ اللهِ -عَزَّ وَجَلَّ-، كَالْغَازِي فِي سَبِيلِ اللهِ حَتَّى يَرْجِعَ إِلَى أَهْلِهِ»[٥]، فاشترط ‰ لحصول المشروعية وترتب الثواب شرطين: قصْدُ وجْهِ الله تعالى، والعملُ على وفق المنهج الشرعي. والأحاديث والآثار في هذا الباب كثيرةٌ، تؤكِّد قيمةَ العملِ التطوُّعيِّ، والمسارعة إلى الخيراتِ، والإسهام في نفع النَّاس والمجتمع.

---

(١) أخرجه مسلم في "صحيحه" في كتاب الذِّكْرِ وَالدُّعَاءِ - بَابُ فَضْلِ الِاجْتِمَاعِ عَلَى تِلَاوَةِ الْقُرْآنِ (٤/٢٠٧٤ رقم٢٦٩٩)، والرواية الثانية عند البخاري في "صحيحه" في كِتَاب الْمَظَالِمِ - بَابٌ: لاَ يَظْلِمُ الْمُسْلِمُ الْمُسْلِمَ (٣/١٢٨ رقم٢٤٤٢).

(٢) انظر: الصنعاني، محمد بن إسماعيل الأمير، سبل السلام، ج٢، بدون طبعة، دار الحديث، القاهرة، مصر، بدون تاريخ، ص:٦٣٨.

(٣) أخرجه البخاري في "صحيحه" في كِتَابُ الأَدَبِ بَابُ السَّاعِي عَلَى الأَرْمَلَةِ (٨/٩ برقم٦٠٠٧)، ومسلم في "صحيحه" في كِتَابُ الزُّهْدِ وَالرَّقَائِقِ - بَابُ الْإِحْسَانِ إِلَى الْأَرْمَلَةِ وَالْمِسْكِينِ وَالْيَتِيمِ (٤/٢٢٨٦ رقم٢٩٨٢).

(٤) انظر: النووي، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، ج: ١٨، ط: ٢، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، (١٣٩٢هـ)، ص: ١١٢.

(٥) أخرجه أحمد في مسنده، (٢٥/ ١٤٧ رقم١٥٨٢٦)، وأبو داود في "سننه" في كتاب الخراج - باب فِي السِّعَايَةِ عَلَى الصَّدَقَةِ (٣/٩٣ رقم٢٩٣٨)، والترمذي في "جامعه" في كتاب الزكاة - بَابُ مَا جَاءَ فِي العَامِلِ عَلَى الصَّدَقَةِ بِالحَقِّ (٢/٣٠ رقم ٦٤٥)، وابن ماجه في "سننه" في كتاب الزكاة - بَابُ مَا جَاءَ فِي عُمَّالِ الصَّدَقَةِ (١/٥٧٨ رقم ١٨٠٩)، وقال الترمذي: "حَدِيثٌ حَسَنٌ".

المبحث الثاني
طرق تنمية العمل التطوعي في السُّنة النبوية

اتخذ العمل التطوعي وسائل متنوعة، وسَلَكَ طُرُقًا متعددة فرديةً وجماعيةً، تتجاوب مع الشدائد والأزمات، وتُخفف من آثارها، ولا يخفى على الساعين لإحداث نهضة شاملة في أوطانهم، والعاملين في المجال التطوعي خاصة، أن تنويع طرق العمل التطوعي بوجهٍ عامٍّ يُسهم في التنمية الشاملة التي تستغل جميع الإمكانات والطاقات المادية والبشرية.

وإنَّ الناظر في كتب علمائنا وهم يتناولون قضايا العمل التطوعي في مصنفاتهم، يجد أنهم يَعُدُّون المشاركة فيه من فروض الكفاية التي يلزم أن يقوم بها جماعة من المسلمين، ومن أجل ما سبق فقد عُنِيَت السُّنة المطهرة بالعمل التطوعي بتوجيه الأنظار نحو الاهتمام بطرق تنمية العمل التطوعي، وبيان أثرها في النهوض بالمجتمع، وقد وردت عشرات الأحاديث الشريفة بنماذج عظيمة لهذه الطرق التنموية للعمل التطوعي، تَمَيَّزَتْ بتلبية الحاجات الاجتماعية، ومجاراة القدرات، والاستغلال الأمثل للإمكانات المتاحة في كل عصرٍ بما يناسبه، ولو أننا أحسننا الاستفادة من هذه الأحاديث الشريفة، وتوجيه معانيها لما يتوافق مع عصرنا الحالي لكان لذلك أبلغ الأثر وأعظم النتيجة في تنمية المجتمعات والإسهام في رُقِيِّها ونهوضها؛ وذلك لأن الناس يكونون أسرع استجابةً حينما يأتيهم الخطاب من القرآن الكريم والسُّنَّة المطهرة.

وحَرِيٌّ بنا أن نسجل هنا بكل إجلال وفخار: دعوةَ السُّنة المطهرة للابتكار والتجديد والتطوير في طرق العمل التطوعي بما يتناسب مع الأزمنة المختلفة، ويواكب أحوالها، ويلائم المتغيرات والمستجدات، وذلك ما نلحظه في الحديث الشريف الْمَرْوِيّ [1]

---

[1] أخرجه مسلم في "صحيحه" في كتاب الزكاة، باب الحث على الصدقة ولو بشق تمرة (٨٦/٣ برقم: ١٠١٧).

عن جرير ﷺ، أن النبي ﷺ قال: «مَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً حَسَنَةً، فَلَهُ أَجْرُهَا، وَأَجْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا بَعْدَهُ، مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْءٌ».

ومن الأحاديث الشريفة التي تندرج تحت المعنى السابق: ما رواه جَابِر بْن عَبْدِ اللهِ ﷺ: أنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: « مَنِ اسْتَطَاعَ مِنْكُمْ أَنْ يَنْفَعَ أَخَاهُ فَلْيَفْعَلْ » [(١)].

وأرى – والله أعلم – أن التعبير بالاستطاعة في هذا الحديث يحمل معنى رائقًا – بالإضافة إلى المعنى المتبادر إلى الذهن وهو مجرد النفع ولو كان تقليديًّا– وهذا المعنى الرائق هو الإبداع والتفنن في ابتكار الوسائل المناسبة لنفع الناس حسب حاجاتهم وبيئاتهم من خلال خبرة هذا المتطوِّع المحتسِب، وتبعًا لحماسته وإخلاصه وإقباله على هذا العمل وشعوره بقيمة ما يبذله.

وفيما يلي تعدادٌ لبعض طرق التنمية للعمل التطوعي التي وردت بها الأحاديث الشريفة، وبيانٌ لما اشتملت عليها من منهج قويم، والله المستعان.

المطلب الأول: إدراج العمل التطوعي ضمن مفهوم العبادة والإيمان

من المهم جدًّا في مسيرة العمل التطوعي، وضمان تنميته باستمرار، أن يتقرر في نفوس العاملين فيه أن تَطَوُّعَهم بخدمة مجتمعاتهم، والقيامَ بحقوقِ إخوانهم وأوطانهم، والوقوفَ معهم في الشدة والرخاء والعسر واليسر = جزءٌ من العبادة والإيمان، حينئذٍ يحرصون على العمل التطوعي بكل سبيلٍ ممكنة، ويبذلون أقصى طاقاتهم لأجْلِه على الوجه الأمثل؛ ومن هنا فقد اهتمت السُّنة النبوية بتوسيع مفهوم العبادة وتخليصه من المعاني القاصرة عن الشمول، فأدخَلَتْ فيه القيامَ بالواجبات الاجتماعية والأعمال التطوعية، مما كان له أعظم الأثر في الإقبال عليها والإسهام في تنميتها، ومن الأحاديث الواردة في ذلك:

---

(١) أخرجه مسلم في "صحيحه" في كتاب السَّلَامِ، بَابُ اسْتِحْبَابِ الرُّقْيَةِ مِنَ الْعَيْنِ وَالنَّمْلَةِ وَالْحُمَةِ وَالنَّظْرَةِ (٤/١٤٢٦ رقم٢١٩٩).

ما رواه مسلم في "صحيحه" [١] عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ¢، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «الْإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ -أَوْ بِضْعٌ وَسِتُّونَ- شُعْبَةً، فَأَفْضَلُهَا: قَوْلُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَدْنَاهَا: إِمَاطَةُ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ، وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الْإِيمَانِ». ففي هذا الحديث الشريف قَرَنَ النبي ﷺ بين الإيمان ممثَّلًا في كلمة التوحيد، وبين العمل التطوعي ممثَّلًا في إماطة الأذى عن الطريق، حيث عَدَّ القيام بتجميل الطُّرق، والامتناع عن الإضرار بالناس فيها إحدى شُعَبِ الإيمان، وهذا يدفع المسلم إلى المشاركة في الأعمال التطوعية، والإسهام في تنمية مجتمعه الذي يعيش فيه.

كما أن القرآن الكريم قد وضع الأساس الإيماني للعمل التطوعي حين أمر بفعل الخير، وقرن ذلك بالإيمان والعبادة، فقال تعالى: ﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [سورة الحج:٧٧].

ومن هنا فإننا نستطيع فهم العلاقة الوثيقة بين العبادة والعمل التطوعي، عندما يندرج العمل التطوعي في معنى "العبادة" الواسع الرحيب، وهذا له أبلغ الأثر في الحث على القيام بالعمل التطوعي، وضمان استمراره وتطويره، والإبداع فيه، والإقبال عليه بإخلاص، وذلك لأن العبادة في مفهومها الواسع – كما تدل عليه الآيات والأحاديث – هِيَ: اسمٌ جَامِعٌ لكل مَا يُحِبهُ الله ويرضاه من الْأَقْوَال والأعمال الْبَاطِنَة وَالظَّاهِرَة، فيدخل فيها عمل الخير والتطوع بجميع أنواعه.

---

[١] أخرجه مسلم في "صحيحه" في كتاب الإيمان، باب شعب الإيمان (١/٤٦برقم: ٣٥).

المطلب الثاني : تجويد العمل التطوعي وإتقانه وإحسانه، وأداؤه على الوجه الأمثل .

اهتمت السُّنة النبوية بالدعوة إلى العمل عمومًا، والتطوعي خصوصًا، ولكن برز اهتمامُها أكثر بجودة العمل وإتقانه، وتحسين منتَجَاته، ممَّا يكفل للمجتمع تحقيق التنمية الشاملة التي يسعى إليها، وصولًا إلى كفاية المواطنين، وتلبية حاجياتهم، بما يضمن لهم مستوىً متميزًا من العيشة الكريمة والحياة المطمئنة.

والأحاديث الواردة في الدعوة إلى إتقانِ العمل وإحسانه كثيرة، مِن أشهرها:

ما ورد عَنْ شَدَّادِ بْنِ أَوْسٍ ﷺ، عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ ، قَالَ: «إِنَّ اللهَ كَتَبَ الْإِحْسَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ»[(١)]، ويُستدل من ذلك على أن الإتقان مطلوب في كلِّ شيءٍ يباشره الإنسان، ولا يقتصر على مَواطن معيَّنة.

(والإتقان والإحسان معناهما: الإحكام والإجادة للأشياء والقيام بها على وجهها، وقد أحسن الله – تعالى – خلق كلِّ شيءٍ وأَحْكَمَه، كما في قوله سبحانه: ﴿ صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ ﴾ [سورة النمل:٨٨]، وإتقان العمل من أهم الأمور التي حَفَل بها القرآن الكريم والسُّنة المطهرة؛ والإسلام لا يَرضى أن يؤدَّى العملُ مجردَ أداءٍ، وإنما يؤدَّى على خيرِ وجهٍ يحقق الغايةَ منه؛ ولهذا السبب جاء لفظ "العمل" مقرونًا بكلمة "الصالح"، يقول تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا﴾ [سورة الكهف:٣٠].

ولذلك فإن رَجُل العمل التطوعي مطالبٌ بالخدمة في مهمته وإتقانها، واعتبار ذلك عبادةً من العبادات التي تُقَرِّب إلى الله بما تُحقِّق للناس مِن نَفْعٍ، وبما في إتقان العمل من تَشَبُّهٍ بالله الصانع، والمسلم لا يهمه كَمُّ الإنتاج بقدر ما يهمه أن يُجَوِّدَه ويتقنه، ويبذل

(١) أخرجه مسلم في "صحيحه" في كتاب الصيد والذبائح وما يؤكل من الحيوان، باب الْأمر بإحسان الذبح والقتل وتحديد الشفرة، (٦/٧٢ برقم١٩٥٥).

أقصى طاقاته لإحسانه وإحكامه؛ لشعوره العميق واعتقاده الجازم أن الله يراقبه في عمله، ويراه في أي حال من أحواله، ومن وسائل الإتقان والإحسان للعمل –بالإضافة لما سبق– أن ينتفع العامل بالعلم في أسلوبِ أدائِه، وأن يستوعب الجديد في مجالِه لتنمية المهارة فيه وتطويره) [١] .

المطلب الثالث: الاهتمام بالأنواع الجارية والمستمرة من العمل التطوعي

من معالم العظمة في السُّنة النبوية: أنها أرست مبدأ الصدقة الجارية، وبَذْلِ الأموال ووَقْفِها على مصالح المسلمين ومنافعهم – خاصة كانت أو عامة–، وقد أسهم ذلك في تقديم الحلول الناجحة للأزمات والمشكلات التي يواجهها المجتمع في كل عصر، وقد كان النبي ﷺ الأسوة الحسنة في تطبيق نظام الوقف، واقتدى به أصحابه ٪ ابتغاء مرضاة الله تعالى ، (ثم سارت الأُمّة الإسلاميّة على درب هؤلاء الأفذاذ، ومع مرور العصور وتوالي الأزمان بدأت تتكشّف القيمة الحقيقيّة للأوقاف؛ إذ إنها ساعدتْ بل أسهمت بدَوْرٍ حيويٍّ في حلّ المشكلات التي واجهتها الأُمّة عبر تاريخها الحضاري الطويل؛ مِن أَدْوَاء مادِّيّة وأخلاقيّة واجتماعيّة ونفسيّة وعلميّة وعسكريّة.. وغيرها، وهو ما لم نجده في أي حضارة أخرى!) [٢] .

ومن الأحاديث الواردة في هذا الباب:

١– ما ورد عَنْ عَائِشَةَ ~ أَنَّهَا قَالَتْ: (سُئِلَ النَّبِيُّ ﷺ : أَيُّ الْأَعْمَالِ أَحَبُّ إِلَى اللهِ؟ قَالَ: «أَدْوَمُهَا وَإِنْ قَلَّ» ، وَكَانَ آلُ مُحَمَّدٍ ﷺ إِذَا عَمِلُوا عَمَلًا أَثْبَتُوهُ) [٣] ، ومعنى

(١) انظر: هنيدي، جمال محمد، التربية المهنية والحرفية في الإسلام، ط: ١، دار الوفاء، المنصورة، مصر، (٢٠٠٠م)، ص: ١١٩–١٢٢، بتصرف.

(٢) انظر: السرجاني، راغب، روائع الأوقاف في الحضارة الإسلامية، ط:٣، دار نهضة مصر، الجيزة، مصر، (٢٠١١م)، ص: ٤–٥ بتصرف.

(٣) أخرجه البخاري في "صحيحه" في كتاب الرقاق ، باب القصد والمداومة على العمل (٩٨/٨ برقم =

(الأَدْوَم): أن يداوِم عليه فاعلُه ويواظب عليه، بخلاف العمل الذي يقع منه بعضَ المرات في بعض الأوقات؛ وذلك أنه بالمداومة على القليل، يستمر العملُ وتكثر بَرَكته، بخلاف الكثير الشاق، وربما ينمو القليل الدائم حتى يزيد على الكثير المنقطع، أضعافا كثيرة.

٢- وأيضًا ما رواه أَبو هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «إِذَا مَاتَ الإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَنْهُ عَمَلُهُ إِلاَّ مِنْ ثَلاَثَةٍ إِلاَّ مِنْ صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ، أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ، أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ» [(١)] ، وهذا الحديث هو الأصل في باب الصدقة الجارية، وقد وردت أحاديث كثيرة في تعداد أنواع الصدقة الجارية، وَالْكُلُّ رَاجِعٌ إِلَى هَذِهِ الثَّلَاثِ [(٢)] .

المطلب الرابع: تكثير شُعَب العمل التطوعي وتفريعُها

التنويع لشُعَب العمل التطوعي يتناول القليل والكثير، والعظيم واليسير، والمادي والمعنوي، والبدني والنفسي، والفردي والجماعي، والآنِيّ والدَّوْرِيّ، والكِفَائِيّ والإغْنَائِيّ، حتى تُتاح الفرصة لكلِّ إنسانٍ أن يقوم بما يستطيعه ويتوافق مع قدراته وإمكاناته في عمليات بناء وَطَنِه اجتماعيًّا واقتصاديًّا وثقافيًّا...إلخ، وقد أرسى النبي ﷺ في ذلك مبدأ الشعور بقيمة المشاركة التطوعية مهما كانت يسيرة في عينِ فاعلِها أو عند الناس، فقال ﷺ: «لَا تَحْقِرَنَّ مِنَ الْمَعْرُوفِ شَيْئًا» [(٣)] ، وجَعَلَ هذا العملَ التطوعيَّ اليسيرَ سبيلًا لنجاةِ

= ٦٤٦٥)، ومسلم في "صحيحه" في كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب فضيلة العمل الدائم من قيام الليل وغيره (١٨٩/٢ برقم٧٨٢).

(١) أخرجه مسلم في "صحيحه" في كتاب الوصية، باب ما يلحق الإنسان من الثواب بعد وفاته (٧٣/٥ برقم١٦٣١).

(٢) انظر: العظيم آبادي، أبو عبد الرحمن محمد أشرف بن أمير، عون المعبود شرح سنن أبي داود، ج: ٨، ط: ٢، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، (١٤١٥هـ)، ص: ٦٢، بتصرف.

(٣) أخرجه مسلم في "صحيحه" في كتاب البر والصلة والآداب، باب استحباب طلاقة الوجه عند اللقاء (٣٧/٨ برقم ٢٦٢٦).

فاعلِهِ من النار، والوقاية منها فقال ﷺ: «اتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ، فَإِنْ لَمْ تَجِدْ فَبِكَلِمَةٍ طَيِّبَةٍ» (١) .

بل إن النبي ﷺ قد رفَعَ سَقْفَ التحفيز للإقبال على العمل التطوعي ولو كان شيئًا يسيرًا، وعَظَّم مِن شأنه، حتى لا يستهين به أحدٌ من الناس فقال: «سَبَقَ دِرْهَمٌ مِائَةَ أَلْفِ دِرْهَمٍ » قَالُوا: وَكَيْفَ؟ قَالَ: « كَانَ لِرَجُلٍ دِرْهَمَانِ؛ تَصَدَّقَ بِأَحَدِهِمَا، وَانْطَلَقَ رَجُلٌ إِلَى عُرْضِ مَالِهِ، فَأَخَذَ مِنْهُ مِائَةَ أَلْفِ دِرْهَمٍ فَتَصَدَّقَ بِهَا » (٢) .

وفي هذا الأحاديث الشريف دعوة لمشاركة جميع الفئات في الأعمال التطوعية والإسهام بما يَقْدِرون عليه مِن أجْل تحقيقِ نهضةِ مجتمعاتِهم، فيَشْعُر الفردُ المسلم بقدرته على البذل والعطاء، ودَوْرِهِ تجاه وطنه وأُمَّته، ويُحِسَّ بأنه جزءٌ من نسيج المجتمع لا ينفصل عنه؛ فيَعْلُو عنده الشعورُ بالانتماء.

وما أروع الحديث النبوي الآتي وهو يوضح للمسلم أنه ينبغي عليه أن لا يخلو من عملٍ تَطَوُّعِيٍّ، أو المساعدة فيه، أو الدلالة عليه، حتى عَدَّ السكوتَ عن إعاقته من جملة الخير:

---

(١) أخرجه البخاري في "صحيحه" في كتاب الأدب، باب طيب الكلام (١١/٨ رقم٦٠٢٣)، ومسلم في "صحيحه" في كتاب الزكاة، باب الحث على الصدقة ولو بشق تمرة (٨٦/٣ رقم١٠١٦).

(٢) أخرجه وأحمد في "مسنده" (٢ ١٨٧٥ برقم٩٠٥١)، والبزار في "مسنده" (٣٣٨/١٥ برقم٨٨٩٧) ، والنسائي في "المجتبى" كتاب الزكاة، باب جهد المقل (٥٠٦/١ برقم٢٥٢٦/٢، و ٣/٢٥٢٧)، وابن خزيمة في "صحيحه" كتاب الزكاة، باب صدقة المقل إذا أبقى لنفسه قدر حاجته (١٦٦/٤ برقم ٢٤٤٣)، وابن حبان في "صحيحه" كتاب الزكاة ، ذكر البيان بأن صدقة القليل من المال اليسير أفضل من صدقة الكثير من المال الوافر (١٣٥/٨ برقم٣٣٤٧)، والحاكم في "مستدركه" كتاب الزكاة، سبق درهم مائة ألف (٤١٦/١ برقم: ١٥٢٤)، والبيهقي في "سننه الكبير" كتاب الزكاة، باب ما يستدل به على أن قوله خير الصدقة ما كان عن ظهر غنى إنما يختلف باختلاف أحوال الناس (١٨١/٤ برقم٧٨٧٣). وصححه الحاكم على شرط مسلم، ووافقه الذهبي.

عَنِ أبي موسى ﷺ، عن النَّبيِّ ﷺ قَالَ: «عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ صَدَقَةٌ» قِيلَ: أَرَأَيْتَ إِنْ لَمْ يَجِدْ؟ قَالَ «يَعْتَمِلُ بِيَدَيْهِ فَيَنْفَعُ نَفْسَهُ وَيَتَصَدَّقُ» قَالَ قِيلَ: أَرَأَيْتَ إِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ؟ قَالَ: «يُعِينُ ذَا الْحَاجَةِ الْمَلْهُوفَ» قَالَ قِيلَ لَهُ: أَرَأَيْتَ إِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ؟ قَالَ: «يَأْمُرُ بِالْمَعْرُوفِ أَوِ الْخَيْرِ» قَالَ: أَرَأَيْتَ إِنْ لَمْ يَفْعَلْ؟ قَالَ: «يُمْسِكُ عَنِ الشَّرِّ، فَإِنَّهَا صَدَقَةٌ» (١) .

وفي رواية أكثر تفصيلًا: قَالَ أَبُو ذَرٍّ ﷺ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، مَاذَا يُنَجِّي الْعَبْدَ مِنَ النَّارِ؟ قَالَ: «الْإِيمَانُ بِاللهِ» قُلْتُ: يَا نَبِيَّ اللهِ، إِنَّ مَعَ الْإِيمَانِ عَمَلًا، قَالَ: «يَرْضَخُ مِمَّا رَزَقَهُ اللهُ» (٢) . قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ فَقِيرًا، لَا يَجِدُ مَا يَرْضَخُ بِهِ؟ قَالَ: «يَأْمُرُ بِالْمَعْرُوفِ، وَيَنْهَى عَنِ الْمُنْكَرِ». قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ عَيِيًّا لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَأْمُرَ بِالْمَعْرُوفِ، وَلَا يَنْهَى عَنِ الْمُنْكَرِ؟ قَالَ: «يَصْنَعُ لِأَخْرَقَ» (٣) . قُلْتُ: أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ أَخْرَقَ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَصْنَعَ شَيْئًا؟ قَالَ: «يُعِينُ مَغْلُوبًا». قُلْتُ: أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ ضَعِيفًا، لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُعِينَ مَظْلُومًا؟ فَقَالَ: «مَا تُرِيدُ أَنْ تَتْرُكَ فِي صَاحِبِكَ مِنْ خَيْرٍ! تُمْسِكُ الْأَذَى عَنِ النَّاسِ». فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ إِذَا فَعَلَ ذَلِكَ دَخَلَ الْجَنَّةَ؟ قَالَ: «مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَفْعَلُ خَصْلَةً مِنْ هَؤُلَاءِ يَبْتَغِي بِهَا وَجْهَ اللهِ، إِلَّا أَخَذَتْ بِيَدِهِ فَلَمْ تُفَارِقْهُ حَتَّى تُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ» (٤) .

وبما قرَّره النبي ﷺ في هذا الحديث الشريف يصبح المؤمن مفتاحًا للخير، مغلاقًا

---

(١) أخرجه البخاري في "صحيحه" كتاب الزكاة، باب على كل مسلم صدقة (٢/١١٥ رقم١٤٤٥)، ومسلم في "صحيحه" كتاب الزكاة، باب بيان أن اسم الصدقة يقع على كل نوع من المعروف (٣/٨٣ رقم ١٠٠٨).

(٢) أي: تعطى مما مَلَّكَكَ الله. (انظر: ابن الأثير، النهاية، ٢/٢٢٨).

(٣) هو الجاهل الذي لا يعرف صَنْعةً، يُعينُه على تَعَلُّم صَنْعة. (انظر: ابن الأثير، النهاية، ٢/٢٦).

(٤) أخرجه الطبراني في "الكبير" (٢/١٥٦ رقم١٦٥٠)، وابن حبان في "صحيحه" كتاب البر والإحسان، ذكر الخصال التي يستوجب المرء بها الجنان من بارئه جل وعلا (٢/٩٦ رقم٣٧٣)، والحاكم في "مستدركه" كِتَابُ الْإِيمَانِ، إني أحرج عليكم حق الضعيفين اليتيم والمرأة (١/٦٣ رقم٢١٢)، والبيهقي في "شعب الإيمان" (٥/٣٤ رقم٣٠٥٧)، وصححه الحاكم على شرط مسلم ووافقه الذهبي. وقال الهيثمي في "المجمع" (٣/١٣٥): "رجاله ثقات".

للشر، نَفَّاعًا مباركًا، متَّصِفًا بالرحمة، متميِّزًا بالإحسان بعيدًا عن الإيذاء لأيِّ شيء في الوجود.

ولعل هذه الخصال كلها مما يدخل في جملة ما رواه عَبْد اللهِ بْن عَمْرٍو ƒ، أنَّ رَسُول الله ﷺ قَالَ: «أَرْبَعُونَ خَصْلَةً أَعْلاَهُنَّ مَنِيحَةُ العَنْزِ [١] ، مَا مِنْ عَامِلٍ يَعْمَلُ بِخَصْلَةٍ مِنْهَا رَجَاءَ ثَوَابِهَا، وَتَصْدِيقَ مَوْعُودِهَا، إِلَّا أَدْخَلَهُ اللَّهُ بِهَا الجَنَّةَ» قَالَ حَسَّانُ –أحد رجال هذا الحديث–: فَعَدَدْنَا مَا دُونَ مَنِيحَةِ العَنْزِ، مِنْ رَدِّ السَّلاَمِ، وَتَشْمِيتِ العَاطِسِ، وَإِمَاطَةِ الأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ، وَنَحْوِهِ فَمَا اسْتَطَعْنَا أَنْ نَبْلُغَ خَمْسَ عَشْرَةَ خَصْلَةً [٢] .

وهنا نلحظ أمرين: (الأولى: كمية العمل الخيري؛ من حيث عَدَدُ الصدقات اليومية التي رغب الرسول الكريم □ المسلمَ فيها. والثانية: كيفيته: من خلال شمول أنواعه لكافة حاجات الناس، ليخدمهم ويخفف عنهم، ويرقي من شأنهم، ويحسن من أوضاعهم) [٣] .

المطلب الخامس: تنويع مصادر التمويل للأعمال التطوعية.

تنوعت مصادر تمويل العمل التطوعي بحيث تضمن ديمومته، وتغطي مجالاته المختلفة، وتواكب التغيرات الحادثة عبر العصور والأزمنة، وقد ورد في القرآن الكريم والسُّنة المطهرة بيانُ كثيرٍ من هذه المصادر التمويلية للعمل التطوعي، منها: فريضة الزكاة، والصدقات التطوعية، والكفارات والنذور، والأضحية، والهَدْي، والوصية... إلخ، ولكني أكتفي هنا بأعظمها أثرًا واستمرارية، وهو: (الوقف الخيري: لأنه الرافد الأكبر الذي قامت عليه المؤسسات الخيرية عبر عصور الحضارة الإسلامية، حيث كان

---

(١) أَي: عَطِيَّةُ لَبَنِ الشَّاة. (انظر: ابن حجر، فتح الباري، ١/١٦٠).

(٢) أخرجه البخاري في "صحيحه" كتاب الهبة وفضلها، باب فضل المنيحة (٣/١٦٦ رقم٢٦٣١).

(٣) انظر: مخيمر، أحمد، حيوية المجتمع المسلم في التطوع، مقال منشور على موقع الألوكة، بتاريخ: ٢٠٠٨/٨/١٢م، رابط المقال: http://www.alukah.net/sharia/٠/٣١٤٠/.

من أهم سُبُل الخير وأكثرها نفعًا للمسلمين، فكانت الأوقاف تَدِرُّ منافعها التي عمرت المساجد، وشَيَّدت القلاع والحصون والقناطر والجسور، وأسسَتْ المستشفيات ودور العلم والمكتبات العلمية العامة والخاصة –دينية ودنيوية–، وأصلحت الطُّرق، وحفرت الآبار وأجرت الأنهار والقنوات التي تمد الناس بالماء في كل مكان مع تعاهدها بالصيانة والتنظيف، وبَنَتْ الفنادق التي يأوي إليها الغرباء، وسَيَّرَتْ القوافل الطبية والعيادات المتنقلة للقيام بجولات علاج مجانية في كافة الأمصار الإسلامية خاصة القرى النائية، وأقامت الرباطات والقواعد العسكرية والأمنية التي تحمي الثغور الإسلامية، وتبين لنا من هذا كله أن امتداد فكرة الوقف من المؤسسة الدينية إلى البرِّ العام –الذي يشمل الخدمات الاجتماعية وتقديم المنافع والسلع العامة– كان ابتكارًا إسلاميًّا خالصًا جاءت به الرسالة الإسلامية الخالدة) [١] .

والحديث الأصل في مشروعية الوقف: هو ما ورد عَنِ ابْنِ عُمَرَ ƒ: أَنْ عُمَرَ بْنَ الخَطَّابِ أَصَابَ أَرْضًا بِخَيْبَرَ، فَأَتَى النَّبِيَّ ﷺ يَسْتَأْمِرُهُ فِيهَا، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنِّي أَصَبْتُ أَرْضًا بِخَيْبَرَ لَمْ أُصِبْ مَالًا قَطُّ أَنْفَسَ عِنْدِي مِنْهُ، فَمَا تَأْمُرُ بِهِ؟ قَالَ: «إِنْ شِئْتَ حَبَسْتَ أَصْلَهَا، وَتَصَدَّقْتَ بِهَا» قَالَ: فَتَصَدَّقَ بِهَا عُمَرُ، أَنَّهُ لاَ يُبَاعُ وَلاَ يُوهَبُ وَلاَ يُورَثُ، وَتَصَدَّقَ بِهَا فِي الفُقَرَاءِ، وَفِي القُرْبَى وَفِي الرِّقَابِ، وَفِي سَبِيلِ اللهِ، وَابْنِ السَّبِيلِ، وَالضَّيْفِ [٢] . وفي رواية [٣] : قَالَ: «فَاحْبِسْ أَصْلَهَا، وَسَبِّلِ الثَّمَرَةَ [٤] » .

---

(١) انظر: السرجاني، راغب، روائع الأوقاف في الحضارة الإسلامية، (ص: ٨٦ – ١٥٢) بتصرف واسع، (مرجع سابق).

(٢) أخرجه البخاري في "صحيحه" كتاب الوكالة ، باب الوكالة في الوقف ونفقته (٣/١٠٢ رقم٢٣١٣)، ومسلم في "صحيحه" كتاب الوصية، باب الوقف (٥/٧٣ رقم١٦٣٣).

(٣) أخرجه النسائي في "سننه" كتاب الأحباس، باب حبس المشاع (١/٧١٥ رقم٣٦٠٦/٢).

(٤) أَي اجْعَلْهَا وَقْفًا، وَأَبِحْ ثمرتَها لِمَنْ وقَفْتها عَلَيْهِ، سَبَّلْتُ الشيءَ إِذَا أبحتَه، كأَنَّك جَعَلت إِلَيْهِ طَرِيقًا مَطْروقةً. وسَبِيلُ اللَّهِ: عامٌّ يقعُ عَلَى كُلِّ عَمل خالِصٍ سُلك بِهِ طَرِيقُ التقرُّب إِلَى اللهِ تَعَالَى، بأداءِ الفَرَائض والنَّوافل وأَنْواع التَّطوعُات. (ابن الأثير، النهاية، ٢/٣٣٩).

وَقد حَمَلَ الْعُلَمَاءُ الصَّدَقَةَ الْجَارِيَةَ عَلَى الْوَقْفِ [١] الذي يلبي احتياجات المجتمع المسلم كافة في جميع مجالات العمل التطوعي والتنموي [٢].

المطلب السادس: الدلالة على العمل التطوعي عبر المنافذ الإعلامية المتاحة

يعتبر الإعلام من أهم الطرق التي تُرَوِّجُ للعمل التطوعي، وتؤثر في نجاحه وإبراز الخدمات التي يقدمها للمجتمع، ولذلك فإنه لا بد من توظيف الوسائل الإعلامية المتاحة توظيفًا متميزًا من أجل تنمية العمل التطوعي، وفتح آفاقٍ جديدة له، وقد أشار النبي ﷺ إلى ذلك كما في الحديث الآتي:

عَنْ أَبِي مَسْعُودٍ الْأَنْصَارِيِّ ﷺ ، قَالَ : جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ ، فَقَالَ : إِنِّي أُبْدِعَ بِي [٣] ؛ فَاحْمِلْنِي، فَقَالَ: «مَا عِنْدِي»، فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَنَا أَدُلُّهُ عَلَى مَنْ يَحْمِلُهُ ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : « مَنْ دَلَّ عَلَى خَيْرٍ فَلَهُ مِثْلُ أَجْرِ فَاعِلِهِ » [٤] ، ففي هذا

---

(١) انظر: الرملي، شهاب الدين محمد بن أبي العباس، نهاية المحتاج إلى شرح المنهاج، ج: ٥، الطبعة الأخيرة، دار الفكر، بيروت، لبنان، (١٩٨٤م)، ص: ٣٥٩. وَإِنما حَمَلَ الْعُلَمَاءُ الصَّدَقَةَ الْجَارِيَةَ عَلَى الْوَقْفِ لأن غيره من الصدقات ليست جارية، بل يملك المتصدق عليها أعيانها، ومنافعها ناجزًا، وأما الوصية بالمنفعة – وإن شملها الحديث – فهي نادرة، فحَمْلُ الصدقة في الحديث على الوقف أولى. (انظر: عزام، عبد العزيز محمد، فقه المعاملات، بدون طبعة، مكتب الرسالة الدولية للطباعة والكمبيوتر، بدون مدينة، وبدون بلد، (١٩٩٨م)، ص: ٢٠٩.

(٢) وللتوسع في معرفة الأهمية الكبرى للأوقاف الإسلامية دينيًّا واجتماعيًّا وعلميًّا وأمنيًّا وعسكريًّا وصحيًّا، انظر: صبري، عكرمة سعيد، الوقف الإسلامي بين النظرية والتطبيق، ط: ١، دار النفائس، الأردن، (٢٠٠٨م)، ص: ٨٠–٨٧.

(٣) أي: أُهلكَتْ راحلتي، وانقُطِع بي. (انظر: القرطبي، المفهم لما أشكل من صحيح مسلم، ٣٢٧/٣ رقم ١٣٦٠).

(٤) أخرجه مسلم في "صحيحه" (٦ /٤١) برقم: (١٨٩٣) كتاب الإمارة، باب فضل إعانة الغازي فِي سبيل الله.

الحديث الشريف جعل النبي ﷺ من كلِّ مسلم حريصٍ على التطوع بالعمل النافع وسيلةً إعلامية متنقلة، حيث أثنى على من دل غيره على فعل الخير، وقرَّر له من الجزاء مثْلَ أجْرِ فاعِلِه، كما أن قوله (مَنْ دَلَّ) عام يشمل الدلالة (بِالْقَوْلِ، أَوِ الْفِعْلِ، أَوِ الْإِشَارَةِ، أَوِ الْكِتَابَةِ) [١] ، وهو ما يفيد التنويع في وسائل الإعلام لتتسع دائرة التأثير.

وقد كان المنبر هو الوسيلة الإعلامية المؤثرة في عهد النبي ﷺ؛ حيث كان يستعمله حين يريد إبلاغ الناس بأي أمرٍ مهم من الأمور الدينية والاجتماعية وغيرها، كما توضحه القصة التي اشتمل عليها الحديث الآتي:

روى الإمام مسلم [٢] بسند عَنِ جَرِيرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ ﷺ، قَالَ: كُنَّا عِنْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِي صَدْرِ النَّهَارِ، قَالَ: فَجَاءَهُ قَوْمٌ حُفَاةٌ عُرَاةٌ مُجْتَابِي النِّمَارِ، أَوِ الْعَبَاءِ [٣] ، مُتَقَلِّدِي السُّيُوفِ، عَامَّتُهُمْ مِنْ مُضَرَ بَلْ كُلُّهُمْ مِنْ مُضَرَ، فَتَمَعَّرَ [٤] وَجْهُ رَسُولِ اللهِ ﷺ لِمَا رَأَى بِهِمْ مِنَ الْفَاقَةِ فَدَخَلَ، ثُمَّ خَرَجَ، فَأَمَرَ بِلَالًا فَأَذَّنَ، وَأَقَامَ فَصَلَّى، ثُمَّ خَطَبَ فَقَالَ: ﴿ يَاأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ﴾ ، إِلَى آخِرِ الْآيَةِ: ﴿ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ ، وَالْآيَةَ الَّتِي فِي الْحَشْرِ: ﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ ﴾ ، " تَصَدَّقَ رَجُلٌ مِنْ دِينَارِهِ، مِنْ دِرْهَمِهِ، مِنْ ثَوْبِهِ، مِنْ صَاعِ

---

(١) انظر: القاري، علي بن سلطان محمد، أبو الحسن نور الدين الملا، مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، ط:١، دار الفكر، بيروت، لبنان، (١٤٢٢هـ-٢٠٠٢م)، (٢٩١/١ رقم ٢٠٩).

(٢) أخرجه مسلم في "صحيحه" في كتاب الزكاة، باب الحث على الصدقة ولو بشق تمرة، (٨٧/٣) برقم: (١٠١٧).

(٣) النِّمَارُ: -بِكَسْرِ النُّونِ- جَمْعُ نَمِرَةٍ -بفتحها-، وهي ثياب صوف فيها تَنْمِير، أي: خطوط كأنها أخِذت من لون النّمِر، لما فيها من السَّواد والبَياض. والعباء: -بِالْمَدِّ وَبِفَتْحِ الْعَيْنِ- جَمْعُ عَبَاءَةٍ وَعَبَايَةٍ. وَقَوْلُهُ: "مُجْتَابِي النِّمَارِ" أَيْ: خَرَقُوهَا وَقَوَّرُوا وَسَطَهَا. (انظر: النهاية في غريب الحديث، ٢٤٩/٥، النووي، شرح مسلم، ١٠٢/٧).

(٤) أي: تَغَيَّر. (انظر: النووي، شرح مسلم، ١٠٢/٧).

بُرِّهِ، مِنْ صَاعِ تَمْرِهِ، حَتَّى قَالَ: وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ"، قَالَ: فَجَاءَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ بِصُرَّةٍ كَادَتْ كَفُّهُ تَعْجِزُ عَنْهَا، بَلْ قَدْ عَجَزَتْ، قَالَ: ثُمَّ تَتَابَعَ النَّاسُ، حَتَّى رَأَيْتُ كَوْمَيْنِ مِنْ طَعَامٍ، وَثِيَابٍ، حَتَّى رَأَيْتُ وَجْهَ رَسُولِ اللهِ ﷺ يَتَهَلَّلُ كَأَنَّهُ مُذْهَبَةٌ [١] . قال الإمام النووي: (وأما سبب سروره ﷺ : ففرَحًا بمبادرة المسلمين إلى طاعة الله تعالى، وبذلِ أموالهم لله، وامتثالِ أمر رسول الله ﷺ ، ولِدَفْعِ حاجة هؤلاء المحتاجين، وشفقةِ المسلمين بعضِهم على بعض، وتعاونِهم على البر والتقوى، وينبغي للإنسان إذا رأى شيئًا من هذا القَبيل أن يَفرح ويُظهر سرورَه، ويكون فرَحُه لِمَا ذكَرْناه) [٢] .

(١) من الشَّيء الْمُذْهب وهو الْمُمَوَّه بالذَّهب. (انظر: ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث، ٤٣١/٢).

(٢) انظر: النووي، شرح مسلم، (١٠٤/٧).

المبحث الثالث

طرق تنمية العاملين في العمل التطوعي في السُّنة النبوية

المطلب الأول: توظيف الطاقات والكفاءات فيما يناسبها من العمل التطوعي

يعتمد نجاح العمل التطوعي على المجهودات المبنية على المهارات والخبرات المتنوعة، حيث يتطوع بالقيام به كلُّ إنسانٍ حسب تخصصه الذي يتقنه؛ ومن هنا يأتي دور المؤسسة التطوعية أو القائد للعمل التطوعي في توجيه هذه التخصصات وتوظيف طاقات أصحابها فيما يتناسب مع الاحتياجات الواجب تغطيتها في المجتمع؛ فمثلًا: عند شيوع الفقر، تقوم الجهة المشرفة على العمل التطوعي بصرف أنباه الأغنياء وأصحاب الأموال وتوجيه جهودهم نحو البيئات الفقيرة؛ لِسَدِّ حاجاتها، وكفاية أهلها، وعند تفشي الجهل والأمية يأتي دور الدعاة والمتعلمين في مواجهة الجهل بالدِّين وأحكامه، وتعليم الناس، ومحو أميتهم الدينية والعلمية حتى يصل ذلك إلى محو الأمية الحاسوبية وغيرها من مستلزمات العصر الحديث... إلخ؛ وهذا يتطلب أن يكون القائمون على العمل التطوعي على دراية واسعة بأصحاب الكفاءات والتخصصات، ولديهم قاعدة بيانات قوية لهم، وبذلك المفهوم نستطيع الوصول بالعمل التطوعي إلى أفضل استثمارٍ في سبيلِ تَقَدُّمِ المجتمعات ونهوضها، والأحاديث النبوية الواردة في هذا الباب كثيرة، ولكني أكتفي هنا بأنموذج نبويٍّ فريد أراه الأساس العملي الذي يُبنَى عليه في إدارة العمل التطوعي وإتقانه:

عَنْ طَلْقِ بْنِ عَلِيٍّ الْحَنَفِيِّ الْيَمَامِي ¢، قَالَ: أَتَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ، وَهُوَ يُؤَسِّسُ مَسْجِدَ الْمَدِينَةِ، وَالْمُسْلِمُونَ يَعْمَلُونَ فِيهِ مَعَهُ، فَجَعَلْتُ أَحْمِلُ الْحِجَارَةَ كَمَا يَحْمِلُونَ، فَلَمَّا رَأَيْتُ عَمَلَهُمْ وَكُنْتُ صَاحِبَ عِلَاجٍ وَخَلْطِ طِينٍ، أَخَذْتُ أُحْذِقُ الْمِسْحَاةَ، فَخَلَطْتُ بِهَا الطِّينَ، فَكَأَنَّهُ أَعْجَبَهُ أَخْذِي الْمِسْحَاةَ وَعَمَلِي، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِنَّكُمْ يَا أَهْلَ الْيَمَامَةِ أَحْذَقُ شَيْءٍ بِإِخْلَاطِ الطِّينِ، فَاخْلِطْ لَنَا الطِّينَ» فَكُنْتُ أَخْلِطُ لَهُمِ الطِّينَ

وَيَحْمِلُونَهُ. فَكَانَ يَقُولُ: «قَدِّمُوا الْيَمَامِي مِنَ الطِّينِ». وفي رواية: «مَكِّنُوا الْيَمَامِيَّ مِنَ الطِّينِ؛ فَإِنَّهُ مِنْ أَحْسَنِكُمْ لَهُ مَسًّا». وفي رواية: «دَعُوا الْحَنَفِيَّ وَالطِّينَ، فَإِنَّهُ أَضْبَطُكُمْ لِلطِّينِ». وفي رواية: «اخْلِطِ الطِّينَ فَإِنَّكَ أَعْلَمُ بِخَلْطِهِ». وفي رواية: «إِنَّ هَذَا الْحَنَفِيَّ لِصَاحِبُ طِينٍ». وفي رواية «قَرِّبُوا الْيَمَامِيَّ مِنَ الطِّينِ؛ فَإِنَّهُ مِنْ أَحْسَنِكُمْ لَهُ مَسًّا، وَأَشَدِّكُمْ لَهُ سَاعِدًا»[(١)].

ويتبين لنا من مجموع روايات هذا الحديث عدة فوائد على النحو الآتي:

١ – التمكين يبدأ مِن رعاية حَقِّ الطِّين: وذلك مستفاد من اهتمام النبي ‰ بصناعة الطين، فلَمْ يَغْفُل عن مراقبتها في مرحلة الإعداد رغم وجود ما هو أهم منها، وهذا يعني أن القائمين على العمل التطوعي ينبغي عليهم أن لا يستهينوا بالأعمال اليسيرة، بل يعطونها حظها وحقها من الاهتمام والإتقان، فإن الأمور اليسيرة هي الطريق إلى الأمور العظيمة، فمن قَصَّر في الأولى أساء في الثانية، وكما قيل: معظم النار من مستصغر الشرر .

٢ – الرجل يُحْسِنُ الشيء من أعمال البناء يوكله الإمام المسئول بعمله: وذلك مستفاد من نظر النبي ‰ إلى طَلْقٍ وهو يمسك بالْمِسَحاة يخلط الطين، ثم قوله: «مَكِّنُوا

---

(١) أخرجه أحمد في "مسنده" (٤٦٣/٣٩ رقم ٢٨/٢٤٠٠٩)، والدارقطني في "سننه" في كِتَابُ الطَّهَارَةِ، بَابُ مَا رُوِيَ فِي لَمْسِ الْقُبُلِ (٢٧١/١ رقم٥٤٠)، وابن حبان في "صحيحه" في كتاب الطهارة ، ذكر الوقت الذي وفد طلق بن عَلِيٍّ عَلَى رسول الله ﷺ (٤٠٤/٣ برقم: ١١٢٢)، والطبراني في "المعجم الكبير" (٣٣١/٨ رقم٨٢٣٩ و٣٣٢ رقم٨٢٤٢ و٣٣٥ رقم٨٢٥٤)، والبيهقي في "السنن الكبرى" في كتاب الطهارة، جماع أبواب الحدث، باب ترك الوضوء من مس الفرج بظهر الكف (١/ ٢١٣ رقم٦٤٦)، وابن سعد في "الطبقات الكبرى" (٥٥٢/٥)، وابن قانع في "معجم الصحابة" (٤١/٢)، وأبو نعيم في "معرفة الصحابة" (٣٥٧/١)، قال الهيثمي في "مجمع الزوائد": (٩/٢): "رواه أحمد والطبراني في الكبير ورجاله موثوقون"، قلت: إسناده حسن، رواته جميعهم ثقات سوى قيس بن طلق فإنه "صدوق" كما في "التقريب" لابن حجر (ص:٤٥٧).

الْيَمَامِيَّ مِنَ الطِّينِ مِنْ أَحْسَنِكُمْ لَهُ مَسًّا، وَأَشَدِّكُمْ لَهُ سَاعِدًا»، وهذا يدعو القائمين على العمل التطوعي إلى ملاحظة ومراقبة الذين يعملون معهم، والتعرف على خبرة كل واحد منهم ومهارته، ثم إسناد ما يناسبه من الأعمال إليه؛ لنضمن سرعة إنجاز الأعمال مع التميز والإتقان.

٣ – انشغال الرجل بما يتقنه وصَرْفُ همته وطاقته إليه: وهذا مستفاد من تَوَجُّهِ طَلْقٍ ﷺ إلى العمل في خلط الطين، رغم ما يلابسه من مشقة، وكونه بعيدًا عن الأنظار، وفي ذلك الفعل دعوة لكل مُتَوَجِّهٍ إلى العمل التطوعي أن يختار من العمل ما يعرف من نفسه أنه أهل له، ويتوافق مع إمكاناته وقدراته، حتى لو كان صعبًا ويحتاج إلى بذل المزيد من الوقت والجهد، وبعيدًا عن الأضواء وأنظار الناس، فإنه بذلك يوفر على المؤسسات التطوعية الكثير من الدراسات لتصنيف العاملين معهم كلٍّ حسب طاقته.

٤ – إخلاء الساحة من غير المتقنين أمام المهرة الأكفاء: وهذا مستفاد مِنْ أمْرِه ‰ للعاملين في الطين بالانصراف عنه، وإسناد صناعته إلى الماهر فيه المتمكِّن منه وهو طَلْقٌ ﷺ، وبذلك نضمن إزالة العقبات التي تؤخر إتمام العمل التطوعي في وقته المحدد، بالإضافة إلى سرعة الإنجاز وضمان الجودة.

٥ – لَفْتُ الأنظار إلى المتقنين والدلالة عليهم، وتشجيعهم بالثناء المناسب: وذلك مستفاد من قوله ‰: «إِنَّكُمْ يَا أَهْلَ الْيَمَامَةِ أَحْذَقُ شَيْءٍ بِإِخْلَاطِ الطِّينِ»، «إِنَّ هَذَا الْحَنَفِيَّ لِصَاحِبُ طِينٍ» «فَاخْلِطْ لَنَا الطِّينَ؛ فَإِنَّكَ أَعْلَمُ بِخَلْطِهِ»، وهذل يمثل دعوة نبوية مهمة للعاملين في مجال العمل التطوعي أن يهتموا بالدعم المعنوي للمتقنين في القيام بمهامهم المسندة إليهم، من خلال كلمات التشجيع والمدح والثناء، فإن لذلك أبلغ الأثر في زيادة نشاطهم، ودفْعِهم نحو تطوير خبراتهم ومهاراتهم بصفة مستمرة.

المطلب الثاني: التعاون والجماعية في العمل التطوعي

لا يخفى على المعنيين بالعمل التطوعي أهمية العمل الفردي الذي يمارسه المتطوع، لكن الأكثر منه أهمية هو العمل التطوعي المؤسسي؛ حيث يتميز بأنه أدق تنظيمًا وأوسع تأثيرًا في خدمة المجتمع، وقد صار العمل التعاوني في عصرنا ضرورة ملحة لا سبيل للوصول إلى الإنجاز والإتقان بدونه، فالمؤسسات والجمعيات التطوعية –الحكومية والأهلية– لها دورها المهم في التنسيق بين الوجوه المتنوعة للعمل التطوعي وتطويرها، وفي هذا المعنى يقول الرسول ‰: «الْمُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ، يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا» ثُمَّ شَبَّكَ بَيْنَ أَصَابِعِهِ[(١)]. ويقول أيضًا: «إِنَّ يَدَ اللهِ مَعَ الْجَمَاعَةِ»[(٢)].

وأرى – والله أعلم– أن السُّنَّة العملية قد وضعت أول لبنة على طريق العمل المؤسسي التطوعي من خلال نماذج كثيرة كان أروعها –في تقديري– ما وقع في قصة سلمان الفارسي ﷺ حين ثقلت عليه ديونُه لليهودي الذي يَمْلِكه، وكان سلمان قد كاتَبَ هذ اليهوديَّ على مالٍ معينٍ يؤديه إليه، وعملٍ يقوم به لِيَحْصُل على العتق والحرية من أَسْرِ الرِّق وربقة العبودية، فشَكَا سلمانُ ﷺ حالَه إلى النبي ‰، واستعانَه على أداء ما عليه من ديون، فقال النبي ﷺ لأصحابه الكرام: «أَعِينُوا أَخَاكُمْ»، وبهذا أطلق النبي ‰ الدعوة إلى تأسيس أول عمل تطوعي مؤسسي يلتقي فيه مجتمع المدينة الطاهر على البذل والعطاء الجماعي، وقصة سلمان قد وردت في الحديث الشريف طويلةً جدًّا، لكني أكتفي منها بموضع الشاهد على موضوعنا:

---

(١) أخرجه البخاري في "صحيحه" في كِتَاب الأَدَبِ– بَاب تَعَاوُنِ الْمُؤْمِنِينَ بَعْضِهِمْ بَعْضًا (١٢/٨ رقم٦٠٢٦)، ومسلم في "صحيحه" كتاب الْبِرِّ وَالصِّلَةِ وَالْآدَابِ – بَابُ تَرَاحُمِ الْمُؤْمِنِينَ وَتَعَاطُفِهِمْ وَتَعَاضُدِهِمْ (١٩٩٩/٤ رقم٢٥٨٥)، من حديث أبي موسى الأشعري ﷺ.

(٢) أخرجه ابن حبان في "صحيحه" (٤٣٧/١٠ رقم٤٥٧٧)، والبيهقي في "الشُّعَب" (١٨/١٠ رقم٧١٠٦) عَنْ عَرْفَجَةَ بْنِ شُرَيْحٍ الْأَشْجَعِيِّ.

عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبَّاسٍ ƒ، قَالَ: حَدَّثَنِي سَلْمَانُ الْفَارِسِيُّ ﷺ حَدِيثَهُ مِنْ فِيهِ، قَالَ: (قَالَ لِي رَسُولُ اللهِ ﷺ : "كَاتِبْ يَا سَلْمَانُ"، فَكَاتَبْتُ صَاحِبِي عَلَى ثَلَاثِ مِائَةِ نَخْلَةٍ أُحْيِيهَا لَهُ بِالْفَقِيرِ [١]، وَبِأَرْبَعِينَ أُوقِيَّةً [٢]، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لِأَصْحَابِهِ: "أَعِينُوا أَخَاكُمْ" فَأَعَانُونِي بِالنَّخْلِ: الرَّجُلُ بِثَلَاثِينَ وَدِيَّةً [٣]، وَالرَّجُلُ بِعِشْرِينَ، وَالرَّجُلُ بِخَمْسَ عَشْرَةَ، وَالرَّجُلُ بِعَشْرٍ، يَعْنِي: الرَّجُلُ بِقَدْرِ مَا عِنْدَهُ، حَتَّى اجْتَمَعَتْ لِي ثَلَاثُ مِائَةِ وَدِيَّةٍ، فَقَالَ لِي رَسُولُ اللهِ □: "اذْهَبْ يَا سَلْمَانُ فَفَقِّرْ لَهَا، فَإِذَا فَرَغْتَ فَأْتِنِي أَكُونُ أَنَا أَضَعُهَا بِيَدَيَّ" قَالَ: فَفَقَّرْتُ لَهَا، وَأَعَانَنِي أَصْحَابِي، حَتَّى إِذَا فَرَغْتُ مِنْهَا جِئْتُهُ فَأَخْبَرْتُهُ، فَخَرَجَ رَسُولُ اللهِ ﷺ مَعِي إِلَيْهَا فَجَعَلْنَا نُقَرِّبُ لَهُ الْوَدِيَّ وَيَضَعُهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِيَدِهِ، فَوَالَّذِي نَفْسُ سَلْمَانَ بِيَدِهِ، مَا مَاتَتْ مِنْهَا وَدِيَّةٌ وَاحِدَةٌ، فَأَدَّيْتُ النَّخْلَ، وَبَقِيَ عَلَيَّ الْمَالُ، فَأُتِيَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِمِثْلِ بَيْضَةِ الدَّجَاجَةِ مِنْ ذَهَبٍ مِنْ بَعْضِ الْمَغَازِي، فَقَالَ: "مَا فَعَلَ الْفَارِسِيُّ الْمُكَاتَبُ؟"، قَالَ: فَدُعِيتُ لَهُ، فَقَالَ: "خُذْ هَذِهِ فَأَدِّ بِهَا مَا عَلَيْكَ يَا سَلْمَانُ"، فَقُلْتُ: وَأَيْنَ تَقَعُ هَذِهِ يَا رَسُولَ اللهِ مِمَّا عَلَيَّ؟! قَالَ: "خُذْهَا، فَإِنَّ اللهَ سَيُؤَدِّي بِهَا عَنْكَ" قَالَ: فَأَخَذْتُهَا فَوَزَنْتُ لَهُمْ مِنْهَا، وَالَّذِي نَفْسُ سَلْمَانَ بِيَدِهِ، أَرْبَعِينَ أُوقِيَّةً، فَأَوْفَيْتُهُمْ حَقَّهُمْ، وَعَتَقْتُ)[٤].

وقد برزت فكرة العمل المؤسسي الخيري مع نشوء الدولة الإسلامية وتطورت

---

(١) الْفَقِير: هي الحُفْرة التي تُحفَر لغرس النخل. (انظر: ابن الأثير الجزري، مجد الدين المبارك بن محمد، النهاية في غريب الحديث والأثر، ج: ٣، المكتبة العلمية، بيروت، لبنان، (١٩٧٩م)، ص: ٤٦٣).

(٢) أجمع العلماء على ان الأوقية تساوي: ٤٠ درهمًا. ومقدارها عند الجمهور = ١١٩ جرامًا فضةً تقريبًا. (انظر: محمد، علي جمعة، المكاييل والموازين الشرعية، ط:٢، مكتبة القدس للإعلان والنشر والتسويق، القاهرة، مصر، (١٤٢١هـ-٢٠٠١م)، ص: ٢٠ – ٢١).

(٣) الوَدِيَّة: وَاحِدَةُ الوَدِيِّ، وهي صِغَارُ النَّخْل. (انظر: ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر ٥/١٧٠).

(٤) أخرجه أحمد في "مسنده" (٣٩/١٤٠ – ١٤٧ رقم٢٣٧٣٧)، والبزار في "مسنده" (٦/٤٦٢ رقم٢٥٠٠)، وقال الهيثمي في "المجمع" (٩/٣٣٧): "رَوَاهُ أَحْمَدُ، وَالْبَزَّارُ، وَرِجَالُهُ رِجَالُ الصَّحِيحِ".

عبر القرون حيث (اتخذت الصدقة في الإسلام والدولة الإسلامية صورة مؤسسية في شكل الأوقاف في صورها المختلفة من خلال المساجد، والخلاوي القرآنية، والوقف الاستثماري لدعم المساجد ودور العلم، كما هو الحال في دواوين الزكاة في العديد من الدول الإسلامية)[١].

ومن الآيات التي يُستدل بها على الدعوة إلى العمل التطوعي المؤسسي، قولُه تعالى: ﴿ وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ [سورة آل عمران:١٠٤]، وفي هذه الآية الكريمة تحتمل أن تكون "مِن" في قوله تعالى: "منكم" للتبعيض كما هو الشائع المتبادر، بمعنى: كَوِّنُوا منكم أمةً أي طائفة قوية مترابطة تدعو إلى الخير وتأمر بالمعروف... إلخ، ومقتضى هذا أن يكون في المجتمع المسلم طائفةٌ تجتمع لديها الإمكانات، وتتوافر فيها القدرات، وتكون مؤهلة للقيام بالدعوة إلى الخير، والخطاب في هذا الأمر القرآني –إيجاد الطائفة المذكورة– يكون موجَّهًا إلى أولي الأمر في كل بلد مسلم، ويُعِينهم في ذلك عموم المسلمين، بكل سبيلٍ ممكِنة ماديةً كانت أو معنوية، وإلا فإنهم جميعًا يأثمون عند إهمال القيام بهذا أو التفريط فيه وتِرْكِه.

---

(١) انظر: أبو القمبز، محمد هشام، جدد شبابك بالتطوع، كتاب إلكتروني منشور على موقع "صيد الفوائد"
https://www.saaid.net/book/open.php?cat=٩٨&book=٢٦١٦
بتاريخ ٢-٥-١٤٢٧هـ، ص: ٢٥، بتصرف.

المطلب الثالث: الدعوة إلى توريث الخبرات في العمل التطوعي

إن من أروع الوسائل لتنمية العمل التطوعي، واستدامة أثره الإيجابي في المجتمع: بناء القدرات البشرية، وإكساب الخبرات الفنية والمهنية لمن توافرت لديهم الاستعدادات والدواعي لتَعَلُّمِها واحترافها والمهارة فيها.

وتوريث الخبرات: (يعني أن يقدِّم السابقُ للاَّحِق خلاصةَ تجاربه، وعصارة حياته في تَخَصُّصِه؛ ليَبدأ اللاحِقُ من نقطة انتهاء السابق، وهذا التوريث من أهم القضايا على الإطلاق؛ لأنه يوفر الجهود، ويسدد المسيرة، ويؤْمَن معه وبه الزلل والخلل – إن شاء الله تعالى–، ومن المؤسف أن تجد المتقنين يغادرون مواقعهم التي مكثوا فيها سنوات، فيأتي مَن لا خبرة له، أو صاحبُ الخبرة الضحلة ليتولى مسؤولية عملٍ لم يُتقنه، أو لم يُحِط به علماً كما ينبغي)[١]، وهذا يؤدي إلى ضعف العمل أو انقطاعه وتَوَقُّفِه !

ومن الأحاديث التي تعتبر أصلًا في باب توريث الخبرات في كافة المجالات الدينية والدنيوية، وتدل على خيرية من يفعل ذلك وفضله عند الله تعالى:

١ – ما ورد عَنْ عُثْمَانَ ¢، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: « خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ القُرْآنَ وَعَلَّمَهُ » [٢] .

٢ – وكذلك يدخل تَنَاقُل الخبرات ضمن قوله %o: «مَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً حَسَنَةً، فَلَهُ أَجْرُهَا، وَأَجْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا بَعْدَهُ، مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْءٌ»[٣].

وفي مقابل الحث على توريث الخبرات والترغيب فيه نجد التحذير الشديد لكل من أهمل توريث من هم تحت يده خبرتَه العلمية فيما يُحتاج إليه في أمور المسلمين، كما

---

(١) انظر: الشَّرِيْف، مُحَمَّد مُوسَى، التوريث الدعويّ، ط: ١، دار الأندلس الخضراء للنشر والتوزيع، جدة، السعودية، (٢٠٠٢م)، ص:١١، بتصرف.

(٢) أخرجه البخاري في "صحيحه" كتاب فضائل القرآن، باب خيركم من تعلم القرآن وعلمه (١٩٢/٦ رقم٥٠٢٧).

(٣) سبق تخريجه في مطلع هذا المطلب.

جاء عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ ، عن النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «مَنْ كَتَمَ عِلْمًا يَعْلَمُهُ جَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مُلْجَمًا بِلِجَامٍ مِنْ نَارٍ » (١) .

(والعجيب أن الأمم من حولنا –شرقًا وغربًا– تنبهت إلى هذه القضية المهمة في وقت مبكر، وعَقَدَتْ مَجامِع، وأَسَّسَتْ مراكز، وعَمِلَتْ كل ما في وُسعها للاستفادة التامة مِن علمائها وأعلامها، فلا يغادرون هذه الحياة إلا وقد حَصَلَتِ الاستفادةُ التامة مِن حياتهم غالباً، فحبَّذا لو الْتَفَتْنا إلى هذا الأمر المهم، إذْ إنَّ الجهود المبذولة اليوم لا تكاد تقتصر على مظاهر وشكليات في هذه القضية، نعم هي مهمة لكن لا ترتقي إلى أن تَبلغ المستوى المطلوب من الاستفادة والتوريث الحَسَن) (٢) .

المطلب الرابع: التدريب المستمر

يقترن النجاح في أي عملٍ بالتدريب العملي الجاد والمستمر الذي يساعد على تأهيل فريق العمل، وتحسين المهارات، وتنمية القدرات، ورفْع المستويات، وتخطي العقبات، وتجاوز الصعاب، وإتاحة الفرصة لتقويم العاملين، ومِن ثَمَّ إكسابهم الثقة في قدراتهم، وإمدادهم بالخبرات المتنوعة، وإمكانية تصنيفها، وتوجيهها في المسار الصحيح، ومواكبة التطورات، مما يؤدي إلى بلوغ الأهداف، وتحقيق أعلى النتائج وأفضل الإنجازات.

---

(١) أخرجه أبو داود في "سننه كتاب العلم ، باب كراهية منع العلم (٣/٣٦٠ رقم٣٦٥٨)، والترمذي في "جامعه" أبواب العلم، باب ما جاء في كتمان العلم (٤/٣٨٧ رقم٢٦٤٩)، وابن ماجه في "سننه" أبواب السنة، باب من سئل عن علم فكتمه (١/١٧٥ رقم ٢٦١)، (١/١٧٨ رقم٢٦٦)، وأحمد في "مسنده" في مواضع منها (٢ ٢١٦٤) برقم: (١٠٦٣٤)، وابن حبان في "صحيحه" كتاب العلم، ذكر إيجاب العقوبة في القيامة على الكاتم العلم الذي يحتاج إليه في أمور المسلمين (١/٢٩٧ رقم ٩٥)، والحاكم في "مستدركه" كتاب العلم، من سئل عن علم فكتمه (١/١٠١ رقم ٣٤٣)، وقال الترمذي: "حَدِيثٌ حَسَنٌ "، وصحَّحه الحاكم على شرط الشيخين، ووافقه الذهبي.

(٢) انظر: الشَّرِيْف، مُحَمَّد مُوسَى، التوريث الدعويّ، (ص:١٥).

إن المؤسسات التطوعية التي تكتفي بضَمِّ المتطوعين إلى صفوفها وتشغيلهم دون اهتمامٍ بالتدريب المستمر لهم معرفيًّا وعمليًّا = تخسر كثيرًا على أرض الواقع، ويعود عليها أسوأ الأثر؛ حيث تتأخر عن اللحاق برَكْبِ التطور، ومواكبةِ الأحداث المتسارعة، وفقدان الثقة لدى مَصادرها التمويلية، والمستفيدين منها، فينصرفون عن مساندتها، وتكون عرضة للانهيار.

ومن الأحاديث الدالة على أهمية التدريب المستمر للعاملين في المجالات التطوعية، وأثره في الارتقاء بمستوياتهم:

– عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: « مَا بَعَثَ اللَّهُ نَبِيًّا إِلَّا رَعَى الغَنَمَ»، فَقَالَ أَصْحَابُهُ: وَأَنْتَ؟ فَقَالَ: «نَعَمْ، كُنْتُ أَرْعَاهَا عَلَى قَرَارِيطَ[1] لِأَهْلِ مَكَّةَ»[2].

قال الحافظ ابن حجر ¬ مبيِّنًا الحكمة من تدريب الأنبياء –عليهم صلوات الله وسلامه– على رعي الغنم: (قَالَ الْعُلَمَاءُ: الْحِكْمَةُ فِي إِلْهَامِ الْأَنْبِيَاءِ مِنْ رَعْيِ الْغَنَمِ قَبْلَ النُّبُوَّةِ: أَنْ يَحْصُلَ لَهُمُ التَّمَرُّنُ بِرَعْيِهَا عَلَى مَا يُكَلَّفُونَهُ مِنَ الْقِيَامِ بِأَمْرِ أُمَّتِهِمْ، وَلِأَنَّ فِي مُخَالَطَتِهَا مَا يُحَصِّلُ لَهُمُ الْحِلْمَ وَالشَّفَقَةَ؛ لِأَنَّهُمْ إِذَا صَبَرُوا عَلَى رَعْيِهَا وَجَمْعِهَا بَعْدَ تَفَرُّقِهَا فِي الْمَرْعَى، وَنَقْلِهَا مِنْ مَسْرَحٍ إِلَى مَسْرَحٍ، وَدَفْعِ عَدُوِّهَا مِنْ سَبُعٍ وَغَيْرِهِ كَالسَّارِقِ، وَعَلِمُوا اخْتِلَافَ طِبَاعِهَا وَشِدَّةَ تَفَرُّقِهَا مَعَ ضَعْفِهَا، وَاحْتِيَاجِهَا إِلَى الْمُعَاهَدَةِ = أَلِفُوا مِنْ ذَلِكَ الصَّبْرَ عَلَى الْأُمَّةِ، وَعَرَفُوا اخْتِلَافَ طِبَاعِهَا وَتَفَاوُتَ عُقُولِهَا؛ فَجَبَرُوا كَسْرَهَا، وَرَفَقُوا بِضَعِيفِهَا، وَأَحْسَنُوا التَّعَاهُدَ لَهَا، فَيَكُونُ تَحَمُّلُهُمْ لِمَشَقَّةِ ذَلِكَ أَسْهَلَ مِمَّا لَوْ كُلِّفُوا الْقِيَامَ بِذَلِكَ مِنْ أَوَّلِ وَهْلَةٍ، لِمَا يَحْصُلُ لَهُمْ مِنَ التَّدْرِيجِ عَلَى ذَلِكَ بِرَعْيِ

(١) الْقِيرَاطَ: جُزْءٌ مِنَ الدِّينَارِ أَوِ الدِّرْهَمِ، وقيل: قَرَارِيطُ اسْمُ مَوْضِعٍ بِمَكَّةَ. (انظر: ابن حجر، فتح الباري، ٤٤١/٤).

(٢) أخرجه البخاري في "صحيحه" في كتاب الإجارة، باب رعي الغنم على قراريط (٨٨/٣) برقم: (٢٢٦٢).

الْغَنَمِ. وَخُصَّتِ الْغَنَمُ بِذَلِكَ لِكَوْنِهَا أَضْعَفَ مِنْ غَيْرِهَا، وَلِأَنَّ تَفَرُّقَهَا أَكْثَرُ مِنْ تَفَرُّقِ الْإِبِلِ وَالْبَقَرِ، لِإِمْكَانِ ضَبْطِ الْإِبِلِ وَالْبَقَرِ بِالرَّبْطِ دُونَهَا فِي الْعَادَةِ الْمَأْلُوفَةِ، وَمَعَ أَكْثَرِيَّةِ تَفَرُّقِهَا فَهِيَ أَسْرَعُ انْقِيَادًا مِنْ غَيْرِهَا)[١].

ويمكننا أن نستدل بما يأتي على التأصيل النبوي لإقامة الدورات التعليمية والتدريبية:

– عَنْ مُعَاوِيَةَ ﷺ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: « يَا أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّمَا الْعِلْمُ بِالتَّعَلُّمِ، وَالْفِقْهُ بِالتَّفَقُّهِ » [٢] . أي : أن تحصيل العلم إنما يكون بتَعَلُّمِه وطَلَبه واكتسابه مِن أهلِه وأَخْذِه عنهم حيث كانوا؛ ولذلك فإنه لا بد من التدريب المستمر لاكتساب العلوم والمعارف والمهارات، ومن ذلك قول سيدنا عَلِيّ ﷺ : « تَزَاوَرُوا وَتَذَاكَرُوا هَذَا الْحَدِيثَ؛ فَإِنَّكُمْ إِنْ لَمْ تَفْعَلُوا يَدْرُسْ عِلْمُكُمْ » [٣] .

– عَنْ مَالِك بن الحُوَيرث ﷺ ، قال: أَتَيْنَا إِلَى النَّبِيِّ ﷺ وَنَحْنُ شَبَبَةٌ مُتَقَارِبُونَ، فَأَقَمْنَا عِنْدَهُ عِشْرِينَ يَوْمًا وَلَيْلَةً، وَكَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ رَحِيمًا رَفِيقًا، فَلَمَّا ظَنَّ أَنَّا قَدِ اشْتَهَيْنَا أَهْلَنَا – أَوْ قَدِ اشْتَقْنَا – سَأَلَنَا عَمَّنْ تَرَكْنَا بَعْدَنَا، فَأَخْبَرْنَاهُ، قَالَ: « ارْجِعُوا إِلَى أَهْلِيكُمْ، فَأَقِيمُوا فِيهِمْ وَعَلِّمُوهُمْ وَمُرُوهُمْ – وَذَكَرَ أَشْيَاءَ أَحْفَظُهَا أَوْ لاَ أَحْفَظُهَا – وَصَلُّوا كَمَا

---

(١) الْقِيرَاطَ: جُزْءٌ مِنَ الدِّينَارِ أَوِ الدِّرْهَمِ، وقيل: قَرَارِيطُ اسْمُ مَوْضِعٍ بِمَكَّةَ. (انظر: ابن حجر، فتح الباري، ٤/٤٤١).

(٢) أخرجه البخاري معلَّقا مجزومًا به في "صحيحه" في كتاب العلم – باب العلم قبل القول والعمل (١/٢٤)، وابْن أبي عَاصِم فِي "الْعلم"، والطبراني في "المعجم الكبير" (١٩/٣٩٥ رقم٩٢٩)، وقال الحافظ في "فتح الباري": (إِسْنَادُهُ حَسَنٌ، إِلَّا أَنَّ فِيهِ مُبْهَمًا اعْتُضِدَ بِمَجِيئِهِ مِنْ وَجْهٍ آخر).

(٣) أخرجه ابن أبي شيبة في "مصنفه" في كتاب الأدب، تذاكر الحديث (١٣/٣٤٣) برقم: (٢٦٦٥٨)، والدارمي في "مسنده" في المقدمة، باب مذاكرة العلم (١/٤٨٨) برقم: (٦٥٠)، والحاكم في "مستدركه" في كتاب العلم، فضيلة مذاكرة الحديث (١/٩٥) برقم: (٣٢٣)، وابن عبد البر في "جامع بيان العلم" (١/٤٢٣ رقم ٦٢٤)، وقال الحاكم: "إسناده صحيح على شرط الشيخين".

رَأَيْتُمُونِي أُصَلِّي، فَإِذَا حَضَرَتِ الصَّلَاةُ فَلْيُؤَذِّنْ لَكُمْ أَحَدُكُمْ، وَلْيَؤُمَّكُمْ أَكْبَرُكُمْ»[(١)]. يتضح لنا من قوله: " فَأَقَمْنَا عِنْدَهُ عِشْرِينَ يَوْمًا وَلَيْلَةً" أنهم جاءوا من بلادهم يبتغون التعليم والتدريب على التكاليف المنوط بهم القيام بها، وقد مكثوا مدة مناسبة تشبه الدورات التدريبية الحديثة، يتعلمون فيها ويتفقهون ويتدربون، ثم أُمروا بالرجوع إلى أهليهم، والقيام بتعليمهم ونقل ما اكتسبوه من الخبرات والمعارف إليهم.

المطلب الخامس: المراقبة والمتابعة الدقيقة

لا تتحقق فاعلية العمل المؤسسي التطوعي دون مراقبة دقيقة ومحاسبة حازمة لجميع الأفراد المنتسبين إليه، وذلك أن الشخص إذا علم أنه مراقب ومحاسب أدرك المسئولية المسندة إليه، وأَدَّى العمل المطلوب منه، وقام بتحقيقه على وجه الإتقان، وأنه إن لم يفعل هذا تدهورت المؤسسة، وباءت أعمالها بالفشل.

وقد أسس النبي ﷺ هذا المبدأ كعملٍ مؤسسي ، ثم توسع في تطبيقه الفاروق عمر بن الخطاب ﷺ ، فقد أخذ على عاتقه مراقبة عُمَّال الدولة، والنظر في أعمالهم، ومتابعة إنجازاتهم، ومحاسبة المقصرين منهم، فقد ورد عنه أَنَّه ﷺ ، قَالَ: «أَرَأَيْتُمْ إِنِ اسْتَعْمَلْتُ عَلَيْكُمْ خَيْرَ مَنْ أَعْلَمُ، وَأَمَرْتُهُ بِالْعَدْلِ، أَقَضَيْتُ مَا عَلَيَّ؟»، قَالُوا: نَعَمْ، قَالَ: «لَا، حَتَّى أَنْظُرَ فِي عَمَلِهِ، أَعَمِلَ مَا أَمَرْتُهُ أَمْ لَا»[(٢)]، والحديث الآتي هو الذي بنى عليه

---

(١) أخرجه البخاري في "صحيحه" في كتاب الأذان، باب الأذان للمسافر إذا كانوا جماعة والإقامة وكذلك بعرفة وجمع، (١٢٨/١) برقم: (٦٣١)، ومسلم في "صحيحه" في كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب من أحق بالإمامة، (١٣٤/٢) برقم: (٦٧٤).

(٢) أخرجه عبد الرزاق في "مصنفه" في كتاب الجامع، باب الإمام راع (٣٢٦/١١) برقم: (٢٠٦٦٥) بهذا اللفظ، والبيهقي في "سننه الكبير"في كِتَابُ قِتَالِ أَهْلِ الْبَغْيِ، بَابُ فَضْلِ الْإِمَامِ الْعَادِلِ (١٦٣/٨) برقم: (١٦٧٥٢) بمثله، وإسناده عند عبد الرزاق رجاله ثقات، ولكنه منقطع من رواية طاووس بن كيسان، وهو ثقة روايته عن عمر مرسلة، كما قال أبو زرعة العراقي في "تحفة التحصيل في ذكر رواة المراسيل" (ص: ١٥٨) .

الفاروق ﷺ عمله :

عَنْ أَبِي حُمَيْدٍ السَّاعِدِيِّ ﷺ، قَالَ: «اسْتَعْمَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ رَجُلًا مِنَ الأَسْدِ عَلَى صَدَقَاتِ بَنِي سُلَيْمٍ، يُدْعَى ابْنَ اللُّتْبِيَّةِ، فَلَمَّا جَاءَ حَاسَبَهُ » [(١)] .

قال الإمام العيني ¬، معلِّقًا على هذا الحديث: (وَفِيه: من الْفِقْه جَوَاز محاسبة المؤتمن، وَأَن المحاسبة تصحح أَمَانَته، وَهُوَ أصل فعل عمر، رَضِي الله تَعَالَى عَنهُ، فِي محاسبة الْعمَّال)[(٢)]، فإذا أَخَذَتِ المؤسسات التطوعية بهذا المبدأ فإنه يتم تَدَارُكُ الأخطاء ومعالجتُها في حِينها، وتستقيم لها الأحوال والأمور.

المطلب السادس: التحفيز والتشجيع

لا شك أن تحفيز المتطوعين وتشجيعهم له أثرٌ بالِغٌ في الدعم النفسي والمعنوي لهم، وتغييرهم نحو الأفضل، ودفْعِهم إلى التميز والإبداع، والكشف عن الكفاءات المخبوءة وإبرازها والاستفادة منها، وقد يكون هذا التحفيز متمثلًا في كلمة طيبة تتضمن الثناءَ على العامل ومدْحَ عملِه وتزكيتِه، فتُحْدِث أثرًا عجيبًا في نفسه، ويكون لها أحسن الأثر في قيامه بالأعباء المسندة إليه، وهذا ما يدل عليه الحديث الشريف الآتي:

– عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ ƒ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَنْ صَنَعَ إِلَيْكُمْ مَعْرُوفًا فَكَافِئُوهُ، فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا مَا تُكَافِئُونَهُ، فَادْعُوا لَهُ حَتَّى تَرَوْا أَنَّكُمْ قَدْ كَافَأْتُمُوهُ»[(٣)]، (أي:

---

(١) أخرجه البخاري في "صحيحه" في كتاب الزكاة ، باب قول الله تعالى والعاملين عليها ومحاسبة المصدقين مع الإمام (١٣٠/٢) برقم: (١٥٠٠) بهذا اللفظ، ومسلم في "صحيحه" في كتاب الإمارة، باب تحريم هدايا العمال (١٢/٦) برقم: (١٨٣٢).

(٢) انظر: العيني، بدر الدين محمود بن أحمد، عمدة القاري شرح صحيح البخاري، ط:١، دار دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، (١٤٢١هـ – ٢٠٠١م)، (١٥٠/٩).

(٣) أخرجه أبو داود في "سننه" في كتاب الزكاة، باب عطية من سأل بالله عز وجل (٥٢/٢) برقم: (١٦٧٢) بلفظه، والنسائي في "المجتبى" في كتاب الزكاة، باب من سأل بالله عز وجل (٥١٤/١) برقم: (١/٢٥٦٦)، وأحمد في "مسنده" (٣ / ١١٧١) برقم: (٥٤٦٥) بنحوه. وإسناده صحيح.

مَن أَحسَن إليكم إحساناً قولياً أو فعلياً، فأحسِنوا إليه مثل ما أحسن إليكم أو خيراً منه، فإن لم تجدوا ما تكافئونه بالمال، فكافئوه بالدعاء له، وكرروا الدعاء وبالِغوا له فيه جهدكم حتى تعلموا قد أديتم حقه)[(١)].

– عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ أَبِي أَوْفَى ﷺ ، قَالَ : كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا أَتَاهُ قَوْمٌ بِصَدَقَتِهِمْ ، قَالَ : « اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى آلِ فُلاَنٍ » ، فَأَتَاهُ أَبِي بِصَدَقَتِهِ ، فَقَالَ : « اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى آلِ أَبِي أَوْفَى » [(٢)] ، (أي اغفر له وارحمه . وهذا الدعاء منه ﷺ امتثال لقوله تعالى: ﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ ﴾ [سورة التوبة: ١٠٣]، فإنه أمره الله بالصلاة عليهم ففَعَلَها بلفْظِها، ولفظ الصلاة ليس بحتم، بل غيره من الدعاء يترل مترلته، مثل أن يقول: آجرك الله فيما أعطيت، وبارك لك فيما أبقيت، أو يقول: اللهم اغفر له وتقبل منه، ونحو ذلك. وفي الحديث دليل على أنه يستحب الدعاء عند أخذ الصدقة لمعطيها) [(٣)] .

ويضاف إلى ما سبق ذكره أن تسجيل مميزات المتطوع، والتنويهَ بها، يُعَدُّ من سمات الرقي البشري، وهو اعترافٌ بها، ووفاءٌ له، ورَدٌّ لبعض جميلِه، وحَثٌّ وترغيب للاقتداء به، ومعرفةِ قدره، ودفعٌ له إلى تكرار العطاء والزيادة فيه، ومواصلة الأعمال وتنميتها .

---

(١) انظر: المباركفوري، أبو الحسن عبيد الله بن محمد الرحماني، مرعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، ط:٣، إدارة البحوث العلمية والدعوة والإفتاء، الجامعة السلفية، بنارس الهند، (١٤٠٤هـ–١٩٨٤م)، (٣٨٠/٦ رقم ١٩٦٣) بتصرف.

(٢) أخرجه البخاري في "صحيحه" في كتاب الزكاة، باب صلاة الإمام ودعائه لصاحب الصدقة (١٢٩/٢) برقم: (١٤٩٧) بهذا اللفظ). ومسلم في "صحيحه" في كتاب الزكاة، باب الدعاء لمن أتى بصدقة، (١٢١/٣) برقم: (١٠٧٨) بمثله.

(٣) انظر: المباركفوري، مرعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، (٢١/٦ رقم ١٧٩٢) بتصرف.

المطلب السابع : اكتشاف الخبرات ودعمُها بالتوجيه

تعتمد المؤسسات الناجحة ضمانًا لاستمرارها على البحث عن كفاءات وخبرات جديدة، والسعي لِضَمِّها إلى صفوف العاملين فيها، مع الدعم بالتوجيه والتنمية لقدراتهم، وهكذا ينبغي أن تكون مؤسسات العمل التطوعي، حتى يمتد بقاؤها ويتواصل عطاؤها، والسنة النبوية فيها نماذج متنوعة تدل على ذلك ، أكتفي منها بما في الحديث الشريف الاتي :

– عن أَبِي مَحْذُورَةَ، ﷺ قَالَ: خَرَجْتُ فِي نَفَرٍ، فَكُنَّا بِبَعْضِ الطَّرِيقِ، فَأَذَّنَ مُؤَذِّنُ رَسُولِ اللهِ ﷺ بِالصَّلَاةِ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ ، فَسَمِعْنَا صَوْتَ الْمُؤَذِّنِ وَنَحْنُ عَنْهُ مُتَنَكِّبُونَ، فَصَرَخْنَا نَحْكِيهِ[1]، نَهْزَأُ بِهِ، فَسَمِعَ رَسُولُ اللهِ ﷺ ، [فَقَالَ: «قَدْ سَمِعْتُ فِي هَؤُلَاءِ تَأْذِينَ إِنْسَانٍ حَسَنِ الصَّوْتِ»]، فَأَرْسَلَ إِلَيْنَا قَوْمًا، فَأَقْعَدُونَا بَيْنَ يَدَيْهِ، فَقَالَ «أَيُّكُمُ الَّذِي سَمِعْتُ صَوْتَهُ قَدِ ارْتَفَعَ؟» فَأَشَارَ إِلَيَّ الْقَوْمُ كُلُّهُمْ، وَصَدَقُوا، فَأَرْسَلَ كُلَّهُمْ وَحَبَسَنِي، [فَأَجْلَسَنِي بَيْنَ يَدَيْهِ، فَمَسَحَ عَلَى نَاصِيَتِي، وَبَرَّكَ عَلَيَّ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ]، وَقَالَ لِي: «قُمْ فَأَذِّنْ»، فَقُمْتُ وَلَا شَيْءَ أَكْرَهُ إِلَيَّ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ ، وَلَا مِمَّا يَأْمُرُنِي بِهِ. فَقُمْتُ بَيْنَ يَدَيْ رَسُولِ اللهِ ﷺ ، فَأَلْقَى عَلَيَّ رَسُولُ اللهِ التَّأْذِينَ هُوَ بِنَفْسِهِ...، «ثُمَّ دَعَانِي حِينَ قَضَيْتُ التَّأْذِينَ، فَأَعْطَانِي صُرَّةً فِيهَا شَيْءٌ مِنْ فِضَّةٍ، ثُمَّ وَضَعَ يَدَهُ عَلَى نَاصِيَةِ أَبِي مَحْذُورَةَ، ثُمَّ أَمَرَّهَا عَلَى وَجْهِهِ، ثُمَّ عَلَى ثَدْيَيْهِ، ثُمَّ عَلَى كَبِدِهِ، ثُمَّ بَلَغَتْ يَدُ رَسُولِ اللهِ ﷺ سُرَّةَ أَبِي مَحْذُورَةَ، ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : «بَارَكَ اللَّهُ لَكَ، وَبَارَكَ عَلَيْكَ»، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَمَرْتَنِي بِالتَّأْذِينِ بِمَكَّةَ؟ قَالَ: «نَعَمْ، قَدْ أَمَرْتُكَ»، فَذَهَبَ كُلُّ شَيْءٍ كَانَ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ مِنْ

---

(١) (مُتَنَكِّبُونَ): أَيْ مُعْرِضُونَ مُتَجَنِّبُونَ، وقَوْلُهُ (فَصَرَخْنَا نَحْكِيهِ) أَيْ نَادِينَا وَصِحْنَا نَحْكِي الْأَذَانَ اسْتِهْزَاءً بِهِ. (انظر: السندي، محمد بن عبد الهادي حاشية السندي على سنن ابن ماجه = كفاية الحاجة في شرح سنن ابن ماجه، ط: بدون، دار الجيل، بيروت، لبنان، بدون تاريخ، ٢٤١/١ رقم ٧٠٨) بتصرف.

كَرَاهِيَةٍ، وَعَادَ ذَلِكَ كُلُّهُ مَحَبَّةً لِرَسُولِ اللهِ ﷺ [١] .

في هذه القصة تأكيد على أهمية اكتشاف الكفاءات واستقطابها والاستفادة منها، فبينما كان أبو محذورة –وقْتَ كُفْرِهِ– منهمكًا في الاستهزاء بالأذان، ومحاكاتِه سخريةً، وهو أمر يَصْرِف التفكير نحو معاقبته وردْعِه، إلا أن النبي ﷺ قد شدَّتْه حلاوةُ صوت أبي محذورة ونداوتُه، فقرر أنه صاحب موهبة، ويمتلك كفاءة عاليةً مناسبة لمهمة القيام بالأذان، ففكَّر في اجتذابه إلى الإسلام، وتسخير هذه الكفاءة في خدمته.

المطلب الثامن: التحذير من التخذيل عن الأعمال التطوعية

يرتبط تَقَدُّمُ المجتمعات بمقدار ما ينشط فيها النقدُ البَنَّاء الذي يهدف إلى التغيير نحو الأفضل والأحسن، وتطوير العمل والإنتاج، وهذا ما علَّمه النبي ﷺ أُمَّتَه في الحديث الذي رواه مسلم[٢] عَنْ تَمِيمٍ الدَّارِيِّ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ ، قَالَ: «الدِّينُ النَّصِيحَةُ» قُلْنَا: لِمَنْ؟ قَالَ: «لِلَّهِ وَلِكِتَابِهِ وَلِرَسُولِهِ وَلِأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ»، وكذلك ما رواه الشيخان[٣] عَنْ جَرِيرِ ابْنِ عَبْدِ اللهِ، قَالَ: «بَايَعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ عَلَى إِقَامِ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ،

---

(١) أخرجه ابن ماجه في "سننه" (٤٥٤/١) برقم: (٧٠٨) أبواب الأذان والسنة فيها، باب الترجيع في الأذان بهذا اللفظ. والنسائي في "المجتبى" كتاب الأذان، باب كيف الأذان (١٤٦/١) برقم: (٢/٦٣١)، وما بين المعكوفين عنده في كتاب الأذان، باب الأذان في السفر (١/ ١٤٦) برقم: (١/٦٣١)، وأحمد في "مسنده" (٣٢٤٦/٦) برقم: (١٥٦١٦) بمثله. وابن حبان في "صحيحه" كتاب الصلاة، ذكر الأمر بالترجيع بالأذان ضد قول من كرهه (٥٧٤/٤) برقم: (١٦٨٠) بنحوه. وقال البوصيري في "مصباح الزجاجة في زوائد ابن ماجه" (٤٧٩/١ رقم٢٦٢/ طبعة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة): "هذا إسناد صحيح رجاله ثقات".

(٢) أخرجه مسلم في "صحيحه" في كتاب الإيمان، باب بيان أنه لا يدخل الجنة إلا المؤمنون (٥٣/١ رقم٥٥).

(٣) أخرجه البخاري في "صحيحه" كتاب الإيمان، باب قول النبي ﷺ الدين النصيحة (٢١/١ رقم٥٧)، ومسلم في "صحيحه" كتاب الإيمان، باب بيان أنه لا يدخل الجنة إلا المؤمنون (٥٤/١ رقم٥٦).

وَالنُّصْحِ لِكُلِّ مُسْلِمٍ » .

فهذا النقد البَنَّاء: يصدر عن نفس زاكية وقلب يحمل الخير لوطنه ومجتمعه والناس من حوله، حيث يشمل النصح الرفيق الْمُزَيَّن بالأدب الراقي للأفراد والجماعات والمؤسسات الحكومية والأهلية صغيرة كانت أو كبيرة، وحينئذ يكون التغيير إلى الأحسن، وتتميز المؤسسات بالإنتاجية الجيدة والمتميزة.

أما النقد الهَدَّام: فإنه يبدد الجهود، ويُضْعِف الطاقات، ويصيب جدران المجتمع بتصدعات شتى تُسْهِم في تقويض أركانه وتمزيق نَسيجه، ويَعُوقُه عن النهوض والرُّقي والتنمية الشاملة، وهذا النقد السلبي الهَدَّام لا يَصْدُر إلا عن ضِعَافِ النفوس، ومَرْضى القلوب، وكارِهِي الخير، ومُنْحَرِفِي الأفكار والتوجهات، إذْ يُمَثِّلُون عقبةً في طريق الإصلاح المجتمعي، وخنجرًا مسمومًا في ظهور العاملين مِن أجل بناء مجتمعاتهم، فترى هؤلاء الْمُخَذِّلِين لا يجيدون سوى ذِكْر المساوئ، وتعداد المعايب، ورصد الأخطاء، ويتفننون في وسائل التجريح والقعود على طرق الخيرات للصد عنها! وحين تسألهم ماذا قدمتم أنتم من أجل تنمية العمل التطوعي؟ وماذا أبدعتم من وسائله؟ تراهم صُمًّا بُكْمًا عُمْيًا لا يستطيعون حيلةً ولا يهتدون سبيلًا، وصدق فيهم قول الله تعالى: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ * أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِنْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ [سورة البقرة: ١١-١٢].

وقد حذر النبي ‰ من النقد السلبي الهدام كما في محاورته مع أبي ذر بعد أن عدد له النبي ‰ أنواعًا من العمل التطوعي، ثم قال: «يُمْسِكُ [لِسانَهُ] عَنِ الشَّرِّ، فَإِنَّهَا صَدَقَةٌ»[1]، وهذا يشير إلى معنى رائق له أثره في تنمية العمل التطوعي وهو: إذا لم تستطع فعل الخير فلا تُخَذِّلْ غيرك. وبعبارة أخرى: إذا لم تقدر على عمل الخير فَدَعِ الناس يعملون، ولا تحتقر أعمالهم.

---

(١) سبق تخريجه في: (المطلب السادس: تكثير وتفريع شُعَب العمل التطوعي) .

وهذا المعنى الكريم تؤيده الأحاديث الأخرى مثل: «مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ»(١).

وقد حذر القرآن الكريم وأظهر – مُتَوعِّدًا – أن التخذيل عن العمل التطوعي واحتقار الجهود المبذولة فيه خصلة من خصال النفاق، كما جاء في قوله تعالى: ﴿ الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [سورة التوبة:٧٩]، فقد أفادتنا هذه الآية الكريمة أن الْمُخَذِّلِين عن العمل التطوعي ذووا نفوس خبيثة تكره الخير قليلًا كان أو كثيرًا؛ فإنه إذا كان كثيرًا اتهموا فاعليه بالرياء وطلب السمعة والشهرة، وإذا كان قليلًا احتقروه وسخروا من فاعليه وزعموا أنه لا يغني شيئًا!

وهذا ما فَصَّله الحديثُ الشريف التالي: عَنْ أَبِي مَسْعُودٍ الأَنْصَارِيِّ ﷺ، قَالَ: لَمَّا نَزَلَتْ آيَةُ الصَّدَقَةِ، كُنَّا نُحَامِلُ [عَلَى ظُهُورِنَا]، فَجَاءَ رَجُلٌ فَتَصَدَّقَ بِشَيْءٍ كَثِيرٍ، فَقَالُوا: مُرَائِي، وَجَاءَ رَجُلٌ فَتَصَدَّقَ بِصَاعٍ، فَقَالُوا: إِنَّ اللهَ لَغَنِيٌّ عَنْ صَاعِ هَذَا، فَنَزَلَتْ: ﴿ الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ ﴾ [سورة التوبة: ٧٩] الآيَةَ(٢).

وليس معنى ذلك ألا نذكر السلبيات والمساوئ مطلقًا، بل نذكرها بالنقد البَنَّاء الذي يهدف إلى معالجتها، كما نذكر الإيجابيات والمحاسن لتعزيزها وتطويرها، وما أروع قول الشيخ محمد الغزالي: (إذا رأيتَ مخطئًا فلا تَضْرِبْه على يده وعلى فَمِهِ، بل صَوِّرْ له

(١) أخرجه البخاري في "صحيحه" كتاب الرقاق، باب حفظ اللسان (٨/١٠٠ رقم٦٤٧٦)، ومسلم في "صحيحه" كتاب الإيمان، باب الحث على إكرام الجار والضيف ولزوم الصمت إلا من الخير وكون ذلك كله من الإيمان (١/٥٠ رقم٤٨).

(٢) أخرجه البخاري في "صحيحه" كتاب الزكاة، باب اتقوا النار ولو بشق تمرة (٢/١٠٩ رقم١٤١٥)، ومسلم في "صحيحه" كتاب الزكاة، باب الحمل بأجرة يتصدق بها والنهي الشديد عَنْ تنقيص المتصدق بقليل (٣/٨٨ رقم١٠١٨)، والزيادة لمسلم.

الحقَّ تصويرًا حسَنًا، وقُدْهُ إليه قيادة رفيقة. هذا هو النقد البناء، لا تَقُلْ للمُبْطِل: دَعْ باطلَك، دون أن تكون قد صوَّرْتَ نموذجًا حسَنًا للحقِّ الذي تدعو إليه. لكنني رأيت مَن ينقد لِقَصْدِ الهدم، رأيت ذلك – للأسف ! – في أحوالنا وفي شؤوننا) [(١)] .

وينبغي التنبيه هنا بِشِدَّةٍ إلى وجوب تنقية صفوف العاملين في المجال التطوعي من الْمُثَبِطِين وذوي الهِمَم الفاترة، والعزائم الخائرة حتى لا يكونوا عقباتٍ وأحجارًا في طريق الخير، ولا يُمَثِّلوا عوائق تمنع من ديمومة العمل التطوعي واستمرارِه وتطويرِه، ويَحُولُوا بينه وبين الوصول إلى التنمية الشاملة المنشودة، وهذا التنبيه الخطير نلمحه في قوله تعالى: ﴿ لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ مَا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَأَوْضَعُوا خِلَالَكُمْ يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴾ [سورة التوبة:٤٧]، وهذه الآية الكريمة وإن كانت قد نزلت في شأن المنافقين حين قعدوا عن الخروج للقتال مع النبي ﷺ في غزوة تبوك، إلا أن هذا لا يبقى له اختصاص بخروجهم إلى القتال فقط، بل هذا عام في جميع الأحوال، فيكون المعنى العام للآية بما يتوافق مع موضوعنا: لو انضم الْمُخَذِّلون والْمُثَبِّطون إلى صفوف العاملين في المجال التطوعي ما زادوهم إلا شرًّا واضطراباً في الرأي، وضَعْفًا وفسادًا في العمل، ولَأَسْرَعوا بينهم بالتثبيط والتخذيل، والأقوال الخبيثة، حالَ كَوْنهم باغين وطالبين لهم التشكيك في صحة أعمالهم، والتثبيطَ عن القيام بها، ونشْرَ الفُرقة في صفوفهم، ولا تخلو صفوفُ العاملين في المجال التطوعي مِن مُطيعين للْمُخَذِّلين، ومستحسنين لحديثهم وكلامهم، يستنصحونهم وإن كانوا لا يعلمون حالهم، فيؤدِي إلى وقوع شرٍّ بين أهل الخير وفسادٍ كبير؛ لأن هذا هو شأن النفوس المريضة التي تكره الخير.

وبذلك نرى أن الآية الكريمة قد وضحت أن هناك ثلاث مفاسد كانت ستترتب

---

(١) انظر: الغزالي، محمد، خطب الشيخ محمد الغزالي في شئون الدين والحياة، جـ ٣، دار الاعتصام، القاهرة ، مصر ١٤٠٩ هـ ، ص : ١٠٣.

على انضمام هؤلاء الْمُخَذِّلين إلى حقل العمل التطوعي: أما المفسدة الأولى: فهي إفساد النظام والعمل، زيادة الاضطراب والفوضى في صفوف العمل التطوعي. وأما المفسدة الثانية: فهي الإسراع بين العاملين بالتثبيط والتخذيل، والأقوال الخبيثة. وأما المفسدة الثالثة: فهي الحرص على تفريق كلمة العاملين، واستدراج فئةٍ منهم لسماع كلامهم وتشكيكهم في صحة أعمالهم وجَدْوَاها. وهذه المفاسد الثلاث ما وُجِدَتْ في عملٍ تطوعي إلا وَأَدَّت إلى فشلِه [١] .

(١) انظر: طنطاوي، محمد سيد، التفسير الوسيط، ج: ٦، ط: ١، دار نهضة مصر، القاهرة، مصر، (١٩٩٨م)، ص: ٣٠٩ – ٣١٠، بتصرف كبير. والمراد بالخبال: الاضطراب والمرض الذي يؤثر في العقل كالجنون ونحوه. أو هو الاضطراب في الرأي. والإيضاع: سرعة السير. والخلال: الفُرَجُ التي تكون بين الصفوف، والمعنى: ولأسرعوا بينكم بالوشايات والنمائم والإفساد. والمراد بالفتنة هنا: كل ما يؤدى إلى ضعف المسلمين في دينهم أو في دنياهم.

المبحث الرابع
تحليل عام لما سبق ذكره من النماذج الواردة في السُّنة المطهرة لبيان طرق تنمية العمل التطوعي وأثرها في المجتمع

وبناء على ما سبق ذكره من النماذج الواردة في السُّنة المطهرة لبيان طرق تنمية العمل التطوعي وأثرها في المجتمع، نستطيع أن نقوم بتحليلها من خلال المطالب الآتية:

المطلب الأول : الأهمية الكبرى لطرق العمل التطوعي وأثرها في قضايا المجتمع وتنمية قدراته

إنَّ عناية السُّنَّة المطهرة بطرق العمل التطوعي تبين بجلاءٍ الأهمية الكبرى لها من خلال: (أنها تعمل على مشاركة المواطنين في قضايا مجتمعهم، كما أنها تربط بين الجهود الحكومية والأهلية العاملة على تَقَدُّمِ المجتمع، كما أنه من خلال هذه الوسائل الخيرية يمكن التأثير الإيجابي في الشباب، وتعليمهم طريقةً للحياة قائمةً على تَحَمُّلِ المسئولية الاجتماعية، وتؤدِّي إلى التقليل من أخطار العلل الاجتماعية والسلوك المنحرف داخل المجتمع، عن طريق انغماس الأفراد في القيام بأعمالٍ من شأنها أن تُشعرهم بأنهم مرغوبٌ فيهم، ويضاف إلى ذلك أن هذه الوسائل الخيرية المتنوعة ستؤدِّي إلى تنميةِ قدرةِ المجتمع على مساعدة نفسه، عن طريق الجهود الذاتية التي يمارسها المتطوعون) [١] .

(١) انظر: أبو القمبز، محمد هشام، جدد شبابك بالتطوع، ص: ١٤، بتصرف ، (مرجع سابق) .

المطلب الثاني: أهمية التنوع في طرق العمل التطوعي، وأثرها في تنمية موارده البشرية والمادية

من خلال النظر في الأحاديث النبوية الشريفة التي بَيَّنَتْ وسائل العمل التطوعي المتنوعة، تتجلى لنا أهميةُ التنوع في هذه الوسائل –التي اشتملت على وسائل تتعلق بالموارد البشرية، وأخرى بالموارد المادية والبيئية المتاحة– (في تنمية المجتمعِ من خلال مِحْورينِ مهمين:

أ– الاستفادة من الموارد البشرية: حيث يمثِّلُ العملُ التطوعيُّ دورًا إيجابيًّا في إتاحة الفرصة لكافة أفراد المجتمع للمساهمة في عمليَّاتِ البناء الاجتماعيِّ والاقتصادي اللازمة في كلِّ زمانٍ ومكان، ويساعد العملُ التطوُّعيُّ على تنمية الإحساس بالمسؤوليَّةِ لدى المشاركين، ويُشعِرُهم بقدرتِهم على العطاء وتقديمِ الخبرة والنَّصيحة في المجال الذي يتميَّزون فيه.

ب– الاستخدام الأمثل للموارد المتاحة: حيث يسهم العمل التطوُّعي في تخفيض تكاليفِ الإنتاجِ، ويساعدُ على تحقيق زيادةِ الإنتاج، ومع تزايُدِ الطَّلبِ على السِّلَعِ والخدمات من قِبَلِ أفرادِ المجتمع، وصعوبة الحصولِ عليها في كثيرٍ من الأحيان، فإنَّه يُصبِحُ من الأهميَّةِ بمكانٍ الاعتمادُ على جهودِ المتطوِّعينَ ؛ لتوفيرِ جزءٍ من هذه الاحتياجاتِ) [(١)] .

---

(١) انظر: مخيمر، أحمد، حيوية المجتمع المسلم في التطوع، مقال منشور على موقع الألوكة، رابط المقال: http://www.alukah.net/sharia/٠/٣١٤٠/ (مرجع سابق).

المطلب الثالث: تحقيق الأهداف العامة والخاصة للأوطان والإسهام بقوة في الإصلاح المجتمعي

إن هذه الوسائل المتنوعة للعمل التطوعي التي عَرَضَتْ لها السُّنَّة المطهرة تُسْهِمُ بقُوةٍ في الإصلاح المجتمعي من خلال تحقيق الأهداف التي يسعى إلى تحقيقها كلُّ الأوطان، والتي تنقسم إلى قسمين؛ أهدافٍ عامة وأهدافٍ خاصة.

أما الأهداف العامة فمنها: (تقليل وتخفيف المشكلات التي تواجه المجتمع، وتكميل العجز عن المِهَنِيِّين، وتنمية روح المشاركة في المجتمع ومواجهة السلبية واللامبالاة، والإسراع في التنمية وتعويض التخلف، وأنَّ انغماس مواطني المجتمع من المتطوعين في الأعمال التطوعية يقودهم إلى التفاهم، والاتفاق حول أهداف مجتمعية مرغوبة، وهذا يقلل مِن فُرَصِ اشتراكهم في أنشطة أخرى قد تكون مهددةً لِتَقَدُّمِ المتجمع وتَمَاسُكِه.

وأما الأهداف الخاصة فمنها: إشباعُ المتطوِّع لإحساسه بالنجاح في القيام بعملٍ يُقَدِّرُه الآخرون، وتحقيقُ الذاتِ، والحصولُ على مكانةٍ أفضل في المجتمع، وتكوينُ صداقاتٍ وعلاقاتٍ، وتحقيقُ الانتماء وأنه جزءٌ مِن كُلٍّ مما يعطيهم الأمانَ والوِجْدان الجماعي، وأن المتطوعين سيعوِّضون النقصَ في القُوَى العاملة التي تعاني منها الكثيرُ من الهيئات والمجتمعات، وأنهم سيبذلون جهودًا لتعريف المجتمع الْمَحَلِّي بهيئاتهم التطوعية، فيستمر تأييدُه لها أدبيًّا وماديًّا واجتماعيًّا؛ لأن هذه الهيئات لا تستطيع العيشَ بمعزلٍ عن أفراد المجتمع الذي تعمل فيه) [1] .

---

(١) انظر: حسين، إبراهيم، العمل التطوعي في منظور عالمي، المؤتمر الثاني للتطوع، المشاريع التنموية في المؤسسات الأهلية الأولويات والتحديات، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة، (٢٠٠١م)، منشور على الرابط الآتي: http://www.saaid.net/Anshatah/dole/٦٢.htm.

المطلب الرابع: تعميم الطرق التطوعية في كل الجوانب المجتمعية وأثره في تنمية المناشط المادية والمعنوية

من خلال إعمال النظرة الواسعة والرؤية الشاملة على ما أوضحته السُّنة المطهرة من طرق العمل التطوعي يتبين لنا أنه يجب أن تَعُمَّ هذه الطرق التطوعية كل الجوانب المجتمعية فتشمل الإسهام الوافر في تنمية المناشط المادية والمعنوية سواء الاقتصادية أو الاجتماعية أو الثقافية أو غيرها، وأنه من الخطأ حصر العمل التطوعي في بعض الجوانب المحدودة في المجتمع، مثل الاكتفاء برعاية أهل الحاجات المادية من المرضى والمعوقين والأرامل والأيتام والفقراء فقط! فإننا إذا حصرنا العمل التطوعي في هذا الجانب فقط أو جعلناه محل الاهتمام والتركيز أكثر من غيره فقد أهملنا جوانب أخرى لها أهميتها الكبرى في بناء المجتمع والرُقِيِّ به، إن تنويع السُّنة المطهرة لهذه الطرق التطوعية يوجب علينا شمولية النظرة إليها، وعدم قَصْرِها على المفهوم التقليدي لها، وهو ما يستلزم الإبداع المستمر والتطوير المتواصل لتلك الوسائل حسب البيئة والأشخاص والأحوال، وهنا (تظهر حقيقةُ العمل الخيري وخُطَطُه فيما يمكِنُ أن تُحدِثَه من تأثيراتٍ وتغيرات في المجتمعِ باتجاه التنمية الشاملةِ؛ فهو ليس جهودًا تُبذَلُ وحسْبُ لإنقاذ مصاب، أو علاجِ مريضٍ، أو أموالاً تنفق لسدِّ رمَقِ محتاجٍ، بل إنَّ خطط العملِ الخيريِّ يجبُ أن تكون في اتجاه التَّنميةِ، وفي اتجاه بناءِ المجتمع فردًا وأسرةً، ومن هنا يمكِنُ أن نضع الأعمالَ في سياقِها الصَّحيحِ المنتِجِ حينما نخطِّطُ للبرامج الموجَّهة إلى كلِّ فئاتِ المجتمع، وعلى رأسها قطاعُ الشَّباب)[1].

---

(١) مخيمر، أحمد، العمل التطوعي وأثره في التنمية الشاملة، مقال منشور على موقع الألوكة، بتاريخ: ٢٠١٢/٦/٢١م، رابط المقال: https://www.alukah.net/culture/٠/٤٢٠٢١/. (مرجع سابق).

المطلب الخامس : الاعتناء بقاعدة فقه الأولويات فهمًا وتطبيقًا وأثره في المناشط التطوعية

ينبغي الاعتناء بقاعدة فقه الأولويات فهمًا وتطبيقًا، ووضوح الموازنات عند تعارض المصالح والمفاسد، ويتجلى ذلك في العديد من المناشط التطوعية مثل:

- تقديم مشاريع النفع الدائم على النفع المنقطع؛ كتشجيع تبني مشاريع الوقف؛ كمدخلات ثابتة للعمل التطوعي، ومشاريع تشغيل القادرين على العمل؛ كمخرجات نفعها دائم للمحتاجين.
- تقديم مشاريع النفع المتعدي على مشاريع النفع القاصر، ومن أهم تلك المشاريع: دعم مسيرة العلم وتشجيعه، والدعوة إلى الله تعالى.
- تقديم ما يحقق الضروريات للمحتاجين على ما يكون من باب الحاجيات والتحسينيات كأولوية تقديم المعونة للذين يموتون من الجوع، أو يتعرضون للإبادة الجماعية والتصفية الجسدية، أو أولئك الذي يئنون تحت وطأة الغزو التنصيري[(١)].

وحول هذه المعنى الجليل يقرر الإمام أبو حامد الغزالي ¬ بأن: "تَرْكَ الترتيب بين الخيرات من جملة الشرور، بل قد يتعين في الإنسان فَرْضَان؛ أحدهما: يَفُوت، والآخر: لا يَفُوت، أو فَضْلَان؛ أحدهما: يَضيق وقته، والآخر: يَتسع وقته؛ فإن لم يَحْفَظِ الترتيبَ فيه كان مغرورًا، ونظائر ذلك أكثر من أن تحصى؛ فإن المعصية ظاهرة، والطاعة ظاهرة، وإنما الغامض: تقديم بعض الطاعات على بعض؛ كتقديم الفرائض كلها على النوافل، وتقديم فروض الأعيان على فروض الكفاية، وتقديم فرض كفاية لا قائم به على ما قام به غيره، وتقديم الأهم من فروض الأعيان على ما دونه، وتقديم ما يَفُوت على ما لا يَفُوت"[(٢)].

---

(١) انظر: الكثيري، طالب بن عمر بن حيدرة، الأحكام الفقهية للعمل الخيري الفردي، مقال منشور على موقع الألوكة، بتاريخ: ٢٠١٥/١٢/١م، في الرابط الآتي:
https://www.alukah.net/sharia/٠/٩٥٣٠٩/.

(٢) انظر: الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد، إحياء علوم الدين، جـ ٣ ، بدون طبعة ، دار المعرفة، بيروت، لبنان ، بدون تاريخ ، ص ٤٠٣ .

الخاتمة والتوصيات

يمكن تلخيص نتائج هذا البحث في النقاط الآتية:

- كشف البحث عن مدى اهتمام السُّنة النبوية وعنايتها الواسعة بالعمل التطوعي، والتفنن في الدعوة إليه والترغيب فيه، وسبْقِ السُّنة النبوية إلى تكثير وتشعيب دروب ومظاهر العمل التطوعي وشمول أنواعه المختلفة، وفتْحِها الآفاق المتنوعة والمتكاملة لرعاية المجتمع.
- عناية السُّنة النبوية البالغة بالوسائل التي تسهم في تطوير وتنمية العمل التطوعي، سواء أتعلقت بالقائمين عليه أم بالعمل ذاته أم بالبيئة التي يُصنع فيها العمل التطوعي.
- تأكيد السُّنة النبوية على جودة العمل التطوعي وإتقانه وإحسانه وأدائه على الوجه الأمثل، مما يكون له أبلغ الأثر وأعظمه في الإنتاج والإبداع التطوعي.
- عناية السُّنة النبوية بطُرُقِ تطويرِ العمل التطوعي، وتوظيفِ الطاقات المناسبة وتوجيهِها في استثماره، واهتمامِها الكبير بما كان له صفة الاستمرار عبر الأجيال من أنواع التطوع وأعماله، ولَفْتِ الأنباه والأنظار إلى الأنواع الجارية والمستمرة من العمل التطوعي.
- تَمَيُّزُ العمل التطوعي في السُّنة النبوية بالعالمية؛ حيث يشمل الإنسانَ بوصفه إنسانًا، بغض النظر عن دينه أو لونه أو عِرْقِه وجِنسه.
- يُسْهِم تَنَوُّعُ طرق العمل التطوعي بشكلٍ كبير في سرعة التنمية؛ لما له من جدوى اقتصادية واجتماعية كبيرة، كما أنها تؤدِّي إلى مشاركة كلِّ فئاتِ المجتمع حسب قدراتهم المتفاوتة، كما تؤدي إلى التقارب بينها وتماسكها وتنمية الروابط بينها، وسَدِّ الفجوات الموجودة في المجتمع.
- أهمية التحفيز والتشجيع والدعم المادي والنفسيّ والمعنوي والتوعوي للعمل التطوعي

في مختلف المجالات، والحذر من حملات التخذيل والتحقير لها مهما كانت يسيرة كما أوضحت ذلك السُّنة النبوية.

- قَدَّمَتِ السنَّة النبويَّة صُورًا خاصَّة في جميع المجالات التي تحيط بحياة الإنسان، فشرحت كيفيَّة تَطَوُّعِ المسلم في حالاته المتعددة، وكيف يكون دائمًا في مصلحة أمته.
- العمل التطوعي الفردي والمؤسسي والسعي في مصالح الناس، يعكس حيويةَ المجتمع المسلم، ويكون في ذاته دافعًا للتنمية الشاملة في الأمة على المستويات الاجتماعية والاقتصادية، والصحية، والعلمية، والثقافية وغيرها، فضلاً عن أنه يعكس الشعور بالانتماء، والشعور بالمسؤولية التي تدفع الأفراد إلى المشاركة والمبادرة بإيجابية وطواعية، ابتغاء مرضاة الله تعالى.

ويطيب لي أن أقدم هذه بعض التوصيات المقترحة لتطوير العمل التطوعي:

- قراءة الأحاديث النبوية المتعلقة بالعمل التطوعي قراءة معاصرة منضبطة وابتكار نماذج جديدة يُحتذى بها وتكون مواكبة لظروف ومتطلبات عصرنا الحديث.
- يجب أن توَظَّف وسائل العمل التطوعي الواردة في السُّنة النبوية بصفةٍ متكاملة وبما يواكب عصرنا لتفعيل دورها في تطوير المناشط الاقتصادية والاجتماعية والثقافية، بل والمعنوية أيضاً.
- بناء القدرات البشرية المهنية والفنية والإدارية في مجالات العمل التطوعي، وذلك من خلال تكثيف التدريب، وتوريث الخبرات من السابقين المتقنين كما علَّمتنا السُّنة النبوية.
- التخلص من التقيد برِبْقة العمل التطوعي التقليدي، والخروج إلى أرض الواقع واستحداث مناشط خيرية تواكب سعي المجتمع المسلم نحو اللحاق بركب الحضارة والتقدم المعاصر.

- إحياء سُنة الوقف بتجديد الدعوة إليه من خلال مشاريع ذات أبعاد تنموية تكون قريبة من نفوس الناس، وقادرة على تلبية رغباتهم وحاجياتهم.
- أن تضم البرامج الدراسية للمؤسسات التعليمية المختلفة بعض المقررات الدراسية التي تركز على مفاهيم العمل الاجتماعي التطوعي وأهميته ودوره التنموي، ويقترن ذلك ببعض البرامج التطبيقية؛ مما يثبت هذه القيمة في نفوس الشباب مثل حملات تنظيف محيط المدرسة أو العناية بأشجار المدرسة أو خدمة البيئة.
- دعم المؤسسات والهيئات التي تعمل في مجال العمل التطوعي مادياً ومعنوياً بما يمكنها من تأدية رسالتها وزيادة خدماتها.
- إقامة دورات تدريبية للعاملين في هذه الهيئات والمؤسسات التطوعية مما يؤدي إلى إكسابهم الخبرات والمهارات المناسبة، ويساعد على زيادة كفاءتهم في هذا النوع من العمل، وكذلك الاستفادة من تجارب الآخرين في هذا المجال.
- مطالبة وسائل الإعلام المختلفة بدور أكثر تأثيراً في تعريف أفراد المجتمع بماهية العمل التطوعي، ومدى حاجة المجتمع إليه، وتبصيرهم بأهميته ودوره في عملية التنمية، وكذلك إبراز دور العاملين في هذا المجال بطريقة تكسبهم الاحترام الذاتي واحترام الآخرين.
- تدعيم جهود الباحثين لإجراء المزيد من الدراسات والبحوث العلمية حول العمل الاجتماعي التطوعي؛ مما يسهم في تحسين واقع العمل الاجتماعي بشكل عام، والعمل التطوعي بشكل خاص.
- دعوة ذوي الخبرات والكفاءات في مجالات العمل التطوعي المتنوعة لعمل لقاء تلفزيونية ومسَجَّلة معهم، يُدْلُون فيها بما لديهم من جهود مشكورة؛ ليعم نفعها والاستفادة منها للصف الثاني اللاحق من بعدهم.

وبعد: فقد انتهي ما يسَّر الله لنا جمعه وترتيبه، فنسأل الله –تعالى– أن يكون القبول نصيبَه، وأن يرزقنا يوم القيامة بِرَّه وذُخره، إنه خير مسئول، وأكرم مأمول. وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد، وآل بيته الطاهرين، وأصحابه الغُرّ الميامين. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

أهم المصادر والمراجع

- القرآن الكريم.
- ابن الأثير الجزري، مجد الدين المبارك بن محمد، النهاية في غريب الحديث والأثر، المكتبة العلمية، بيروت، لبنان، (١٩٧٩م.
- ابن الملقن، سراج الدين أبو حفص عمر بن علي الشافعي، البدر المنير في تخريج الأحاديث والآثار الواقعة في الشرح الكبير، ط: ١، دار الهجرة للنشر والتوزيع، الرياض، السعودية، ٢٠٠٤م.
- ابن خزيمة، أبو بكر محمد بن إسحاق، صحيحُ ابن خُزَيمة، ط: ٣، المكتب الإسلامي، بيروت، لبنان، ٢٠٠٣م.
- ابن ماجه القزويني، أبو عبد الله محمد بن يزيد، سنن ابن ماجة، بدون طبعة، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، مصر، بدون تاريخ.
- أبو القمبز، محمد هشام، جدد شبابك بالتطوع، كتاب إلكتروني منشور على موقع "صيد الفوائد"

&book=٩٨https://www.saaid.net/book/open.php?cat=

٢٦١٦ بتاريخ ٢-٥-١٤٢٧هـ.

- أبو زهرة، محمد، أصول الفقه، بدون طبعة، دار الفكر العربي، القاهرة، مصر، بدون تاريخ.
- أسود، محمد عبد الرازق، مجالات العمل التطوعي في السنة النبوية، حولية مركز البحوث والدراسات الإسلامية، كلية دار العلوم، جامعة القاهرة، مصر، ٢٠١١م.
- الأصبهاني، أبو نعيم أحمد بن عبد الله، معرفة الصحابة، ط: ١، دار الوطن للنشر، الرياض، السعودية، ١٩٩٨م.

- البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل، الجامع الصحيح = صحيح البخاري، ط:٣، دار ابن كثير واليمامة، بيروت، لبنان، ١٩٨٧م.
- البستي، أبو حاتم محمد بن حبان، صحيح ابن حبان «الإحسان»، ط: ٢، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ١٩٩٨م.
- البيهقي، أبو بكر أحمد بن الحسين، السنن الكبرى، ط: ٣، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ٢٠٠٣م.
- البيهقي، أبو بكر أحمد بن الحسين، شعب الإيمان، ط: ١، مكتبة الرشد الرياض، السعودية، ٢٠٠٣م.
- الترمذي، أبو عيسى محمد بن عيسى، الجامع الصحيح = سنن الترمذي، ط: ٢، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، مصر، ١٩٧٥م.
- جواد، محمد صالح مهدي، العمل الخيري دراسة تفصيلية تاريخية، مجلة "سر من رأى"، المجلد ٨، العدد ٣٠، السنة ٨، كلية التربية، جامعة سر من رأى، العراق، ٢٠١٢م.
- الحاكم النيسابوري، أبو عبد الله محمد بن عبد الله، المستدرك على الصحيحين، ط: ١، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٩٩٠م.
- حسين، إبراهيم، العمل التطوعي في منظور عالمي، المؤتمر الثاني للتطوع، المشاريع التنموية في المؤسسات الأهلية الأولويات والتحديات، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة، (٢٠٠١م)، منشور على الرابط الآتي:

.htm٦٢http://www.saaid.net/Anshatah/dole/

- الدارقطني، أبو الحسن علي بن عمر، سنن الدراقطني، ط: ١، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ٢٠٠٤م.
- الرملي، شهاب الدين محمد بن أبي العباس، نهاية المحتاج إلى شرح المنهاج، ج: ٥، الطبعة الأخيرة، دار الفكر، بيروت، لبنان، ١٩٨٤م.

- الزيلعي، جمال الدين أبو محمد عبد الله بن يوسف، نصب الراية لأحاديث الهداية، ط: ١، مؤسسة الريان للطباعة والنشر، بيروت، لبنان/ دار القبلة للثقافة الإسلامية– جدة – السعودية، ١٩٩٧م.
- زينو، رندة محمد، العمل التطوعي في السنة النبوية، رسالة ماجستير، كلية أصول الدين، الجامعة الإسلامية، غزة، فلسطين، ٢٠٠٧م.
- السجستاني، أبو داود سليمان بن الأشعث، سنن أبي داود، ط: ١، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، بدون تاريخ.
- السرجاني، راغب، روائع الأوقاف في الحضارة الإسلامية، ط:٣، دار نهضة مصر، الجيزة، مصر، (٢٠١١م).
- الشَّرِيْف، مُحَمَّد مُوسَى، التوريث الدعويّ، ط: ١، دار الأندلس الخضراء للنشر والتوزيع، جدة، السعودية، ٢٠٠٢م.
- الشيباني، أبو عبد الله أحمد بن حنبل، المسند، ط: ٢، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ١٩٩٩م.
- صبري، عكرمة سعيد، الوقف الإسلامي بين النظرية والتطبيق، ط: ١، دار النفائس، الأردن، ٢٠٠٨م.
- الطبراني، أبو القاسم سليمان بن أحمد، المعجم الكبير، ط: ٢، مكتبة العلوم والحكم، الموصل، العراق، ١٩٨٣م.
- طنطاوي، محمد سيد، التفسير الوسيط للقرآن الكريم، ط: ١، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة، القاهرة، مصر، ١٩٩٨م.
- عزام، عبد العزيز محمد، فقه المعاملات، بدون طبعة، مكتب الرسالة الدولية للطباعة والكمبيوتر، بدون مدينة، وبدون بلد، ١٩٩٨م.

- العسقلاني، أبو الفضل أحمد بن علي بن حجر، تقريب التهذيب: ط: ١، دار الرشيد، دمشق، سوريا، ١٩٨٦م.
- العظيم آبادي، أبو عبد الرحمن محمد أشرف بن أمير، عون المعبود شرح سنن أبي داود، ج: ٨، ط: ٢، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤١٥هـ.
- الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد، إحياء علوم الدين، بدون طبعة، دار المعرفة، بيروت، لبنان، بدون تاريخ.
- الغزالي، محمد، خطب الشيخ محمد الغزالي في شئون الدين والحياة، ج: ٣، دار الاعتصام، القاهرة، مصر، ١٤٠٩هـ.
- القاري، علي بن سلطان محمد، أبو الحسن نور الدين الملا، مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، ط:١، دار الفكر، بيروت، لبنان، (١٤٢٢هـ-٢٠٠٢م)
- الكثيري، طالب بن عمر بن حيدرة، الأحكام الفقهية للعمل الخيري الفردي، موقع الألوكة، https://www.alukah.net/sharia/٠/٩٥٣٠٩/.
- مخيمر، أحمد، العمل التطوعي وأثره في التنمية الشاملة، مقال منشور على موقع الألوكة، بتاريخ: ٢٠١٢/٦/٢١م، رابط المقال:

https://www.alukah.net/culture/٠/٤٢٠٢١/.

- مخيمر، أحمد، حيوية المجتمع المسلم في التطوع، مقال منشور على موقع الألوكة، بتاريخ: ٢٠٠٨/٨/١٢م، رابط المقال:

http://www.alukah.net/sharia/٠/٣١٤٠/.

- مشالي، صابر السيد، التطوع للمصلحة العامة: دراسة أصولية فقهية، موقع الألوكة، على الرابط: http://www.alukah.net/sharia/٠/٤٠٦٨/ftn# ٧/ بتاريخ: ٢٠٠٨/١١/١٦م.

- المباركفوري، أبو الحسن عبيد الله بن محمد الرحماني، مرعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، ط:٣، إدارة البحوث العلمية والدعوة والإفتاء، الجامعة السلفية، بنارس الهند، (١٤٠٤هـ-١٩٨٤م).
- النسائي، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب، سنن النسائي «المجتبى» ، ط : ٢ ، مكتب المطبوعات الإسلامية، حلب، سوريا، ١٩٨٦م.
- النووي، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، ج: ١٨، ط: ٢، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، (١٣٩٢هـ).
- النيسابوري، أبو الحسين مسلم بن الحجاج، الجامع الصحيح = صحيح مسلم، ط: ١، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، مصر، ١٩٩١م.
- الهاشمي، أبو عبد الله محمد بن سعد، الطبقات الكبرى، ط: ١، دار صادر، بيروت، لبنان، ١٩٦٨م.
- هنيدي، جمال محمد، التربية المهنية والحرفية في الإسلام، ط: ١، دار الوفاء، المنصورة، مصر، ٢٠٠٠م.
- الهيثمي، نور الدين علي بن أبي بكر، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، بدون طبعة، مكتبة القدسي، القاهرة، مصر، ١٩٩٤م.

فهرس المحتويات

المقدمة ٢٤١
أهمية البحث : ٢٤٤
مشكلة البحث : ٢٤٤
أسباب اختيار البحث : ٢٤٥
أهداف البحث: ٢٤٥
منهج البحث: ٢٤٥
الدراسات السابقة : ٢٤٦
المبحث الأول : التعريف بالعمل التطوعيّ، والأحاديث الواردة في الترغيب فيه . ٢٤٨
المطلب الأول : التعريف بالعمل التطوعيِّ..... ٢٤٨
المطلب الثاني: نماذج من الآيات والأحاديث الواردة في الترغيب في العمل التطوعي ٢٤٩
المبحث الثاني : طرق تنمية العمل التطوعي في السُّنة النبوية ٢٥٢
المطلب الأول : إدراج العمل التطوعي ضمن مفهوم العبادة والإيمان ٢٥٣
المطلب الثاني : تجويد العمل التطوعي وإتقانه وإحسانه، وأداؤه على الوجه الأمثل .
..... ٢٥٥
المطلب الثالث : الاهتمام بالأنواع الجارية والمستمرة من العمل التطوعي ٢٥٦
المطلب الرابع : تكثير شُعَب العمل التطوعي وتفريعُها ٢٥٧
المطلب الخامس : تنويع مصادر التمويل للأعمال التطوعية. ٢٦٠
المطلب السادس : الدلالة على العمل التطوعي عبر المنافذ الإعلامية المتاحة ٢٦٢
المبحث الثالث : طرق تنمية العاملين في العمل التطوعي في السُّنة النبوية..... ٢٦٥
المطلب الأول : توظيف الطاقات والكفاءات فيما يناسبها من العمل التطوعي ٢٦٥
المطلب الثاني : التعاون والجماعية في العمل التطوعي ٢٦٨
المطلب الثالث : الدعوة إلى توريث الخبرات في العمل التطوعي..... ٢٧١

المطلب الرابع: التدريب المستمر ٢٧٢
المطلب الخامس: المراقبة والمتابعة الدقيقة ٢٧٥
المطلب السادس: التحفيز والتشجيع ٢٧٦
المطلب السابع : اكتشاف الخبرات ودعمُها بالتوجيه ٢٧٨
المطلب الثامن: التحذير من التخذيل عن الأعمال التطوعية..... ٢٧٩
المبحث الرابع : تحليل عام لما سبق ذكره من النماذج الواردة في السُّنة المطهرة لبيان طرق تنمية العمل التطوعي وأثرها في المجتمع ٢٨٤
المطلب الأول : الأهمية الكبرى لطرق العمل التطوعي وأثرها في قضايا المجتمع وتنمية قدراته ٢٨٤
المطلب الثاني: أهمية التنوع في طرق العمل التطوعي، وأثرها في تنمية موارده البشرية والمادية ٢٨٥
المطلب الثالث: تحقيق الأهداف العامة والخاصة للأوطان والإسهام بقوة في الإصلاح المجتمعي..... ٢٨٦
المطلب الرابع: تعميم الطرق التطوعية في كل الجوانب المجتمعية وأثره في تنمية المناشط المادية والمعنوية ٢٨٧
المطلب الخامس : الاعتناء بقاعدة فقه الأولويات فهمًا وتطبيقًا وأثره في المناشط التطوعية ٢٨٨
الخاتمة والتوصيات ٢٨٩
أهم المصادر والمراجع ٢٩٣
فهرس المحتويات ٢٩٨